الميزان الذهبي

ALTINOLUK

مجلة تصدر كل شهرين – العدد الثاني والعشرون (أيلول – تشرين الأول ٢٠١٧)

بذور الخير

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

اختلاف الأُمة

قال اللّه تعالى:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)

(آل عمران: ١٠٣)

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة القرآء:

الخلاف والاختلاف له حدود، أحيانا إذا وضع الخلاف في موضعه لم يضر الناس بل كان رحمة، فاختلاف العلماء رحمة فعلا لأنه قد يضيق مذهب ببعض الناس ويتسع لهم مذهب آخر، قد يصلح هذا لمذهب في بيئة أو في بلد ولا يصلح في بيئات أخرى، قد يصلح لزمان ولا يصلح، فعندنا متسع فمثلاً الفروع الفقهية عندنا ميراث ضخم وتركة هائلة من جميع المذاهب. فالاختلاف خصوصا في الفقه والآراء رحمة وضرورة وسعة وضرورة دينية وضرورة لغوية وضرورة بشرية وضرورية كونية وهو أيضا رحمة من الله ﷻ، رحمة وتوسعة على هذه الأمة، فليس الاختلاف شرا دائما إذا وضع في إطاره ورعيت آدابه وحفظت حدوده.

إذن بعض الخلاف رحمة وبعضه نقمة فعلا، إذا لم ترع الحدود والقيم والآداب في اختلاف الناس بعضهم مع بعض وأصبح هناك نوع من العصبية للرأي ونوع من التجريح للآخرين ودخلت الأهواء بين المختلفين بعضهم وبعض، هنا يصبح الخلاف شراً في هذه الحالة ويصبح الناس يتعادون، ويكادون يقاتلون بعضهم بعضها من أجل هذا الخلاف، فأحيانا يحصل صراع حتى واحد كسر أصبع واحد لأنه يحركه في الصلاة، فهذا نوع من التعصب، فالتعصب هو الذي يفسد الاختلاف ويخرجه عن حقيقته التي فيها نوع من التيسير على الناس ونوع من السماحة في الفكر إلى نوع من التشدد والتضييق. وهنا يكون شراً ويجب على الأمة أن تقاوم هذا النوع من الخلاف ويجب أن تعرف أسبابه لماذا يؤدي إلى ذلك؟ ماذا وراء ذلك، من ينقذ هذه الفتن، من يدفع هذه الأمة أن يقاتل بعضها بعضا مع تحذير كتاب ربها وسنة نبيها من هذا الأمر، "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" فلا بد للأمة تقف وقفة تعرف فيها أسباب هذا التفرق، هذا مش مجرد اختلاف، هذا تفرق الأمة تفرقت وأصبح بعضها يكيد لبعض فلا بد من أن تقف الأمة وقفة يعني تعيد ثقافة الوحدة وثقافة التقارب والتضامن والتسامح، ولا بد من إعادة تثقيف الأمة من جديد وإعادة إيمان الأمة بالثوابت، القرآن لا شك فيه، السنة سنة محمد ﷺ هي المتبعة وهو الأسوة الحسنة. يقول الله تعالى:

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ الأحزاب:١٢]

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم أصلح ولاة أمرنا وهيئ لهم من أمرهم رشداً، اللهم اختم بالصالحات أعمالنا واجعل خير أيامنا يوم لقائك، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتويات

٣

اختلاف الأمة

أحمد طاش غَتيرن

٢٤

الصدق والعناية والاستقامة

جعفر دورموش

٢٨

التصوف -١-

الأستاذ: عثمان نوري طوبّاش

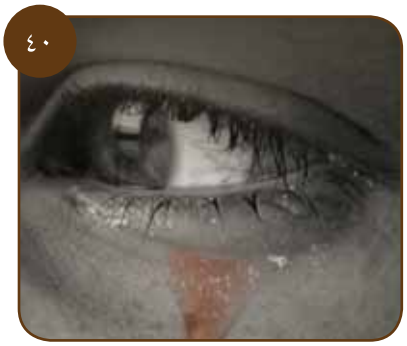

٤٠

اتق دعوة المظلوم

اسماعيل لطفي جاكان

كلمة التحرير	١	التصوف -١-	٢٨
اختلاف الأمة	٣	اللعنة على القاتل	٣٥
من خصائص الإسلام الرئيسية-العالمية	٧	كل يوم حياة جديدة	٣٨
الشباب وعلاقة المحيط والبيئة	٨	اتق دعوة المظلوم	٤٠
عمر الشباب	١٢	ذكوان بن عبد قيس	٤٤
رسالة إلى الأم	١٥	الأسوة الحسنة	٤٧
سويداء القلب	١٨	لهذا نسعى ونبحث	٤٨
دلائل من دون تعيين	٢٢	الجوهر	٥٠
الصدق والعناية والاستقامة	٢٤	فتنة رهاب الإسلام	٥٣
صاحب الوفاء موسى طوبّاش	٢٦	اختبار الذكاء والآخرة	٥٤
		كلمات مضيئة في التربية	٥٦

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل شهرين

العدد الثاني والعشرون

(أيلول- تشرين الأوّل ٢٠١٧)

رئيس التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدمير

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

أ. ابراهيم الحسن

التصميم والتنضيد والاخراج الفني

حسام يوسف

إدارة المجلة.

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

دار النشر والطباعة

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري
يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

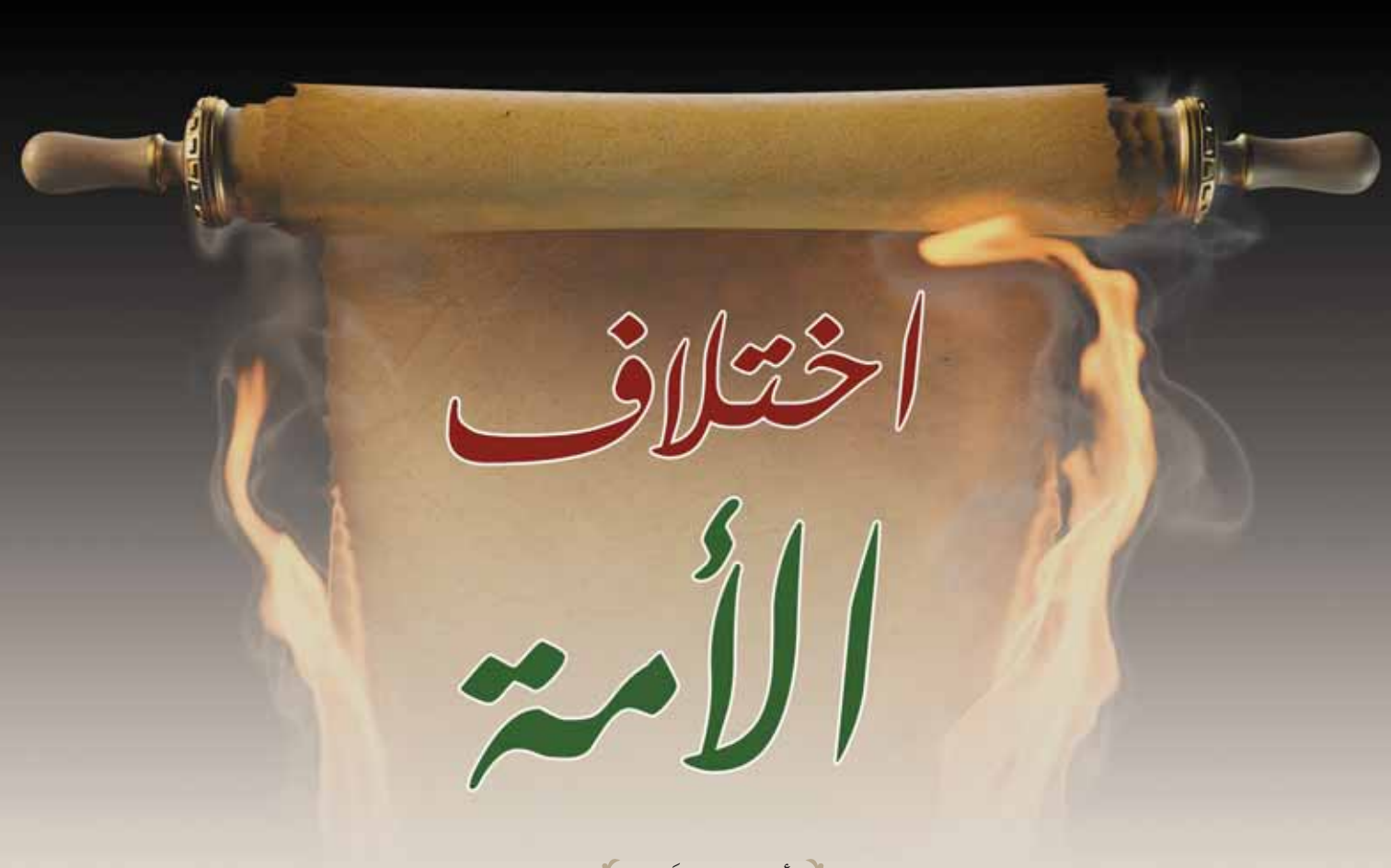

اختلاف الأمة

أحمد طاش غَتيرن

كانت أمة محمد ﷺ أعز الأمم يوماً ما. لأن العزة كانت شأنها وديدنها، وعزتها كانت نابعة من ارتباطها بالله ورسوله.

وأما اليوم فإن تلك الأمة تعيش حالة من الشقاء والانحدار والبؤس والانتكاسة، وإنّ أجلى صور تلك الحالة هي تفرقها وتشتتها وانقسامها العميق.

إن الأمة التي كانت تعبيراً ورمزاً للتماسك، والتحلق والالتفاف حول رسول الله ﷺ، نشاهد اليوم تشتتها، وتمزقها، وانكسارها. ما كان ينبغي أن يحدث لأمة محمد ما يحدث اليوم، ولكننا مع الأسف نعيش حالة المهانة والمظلمة والضعف، وهذه التي ربما أصابتنا بسبب افتقارنا الشديد لشروط "أمة محمد".

وما ينبغي أن يكون الاختلاف الذي عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: "اختلاف أمتي رحمة" هو هذا الخلاف والشقاق الذي نراه. لأن النبي عليه الصلاة والسلام أنشأ هذه "الأمة العزيزة" بإصلاح وترميم كافة الأفعال والتصرفات التي تحدث هذا النوع من الانقسام والشقاق، وبتجفيف وتطهير منابع الاختلاف الهدام لدى الناس، وتضميد الجراح النازفة الناجمة عن التمزق والتشرذم التي كانت قد أنهكتهم.

أجل؛ إن ل "الاختلاف" في الآراء، والأبحاث والتوجهات المختلفة، والجهود الفكرية المختلفة جانباً من الرحمة، حيث ينبغي على المؤمنين السعي وبذل غاية الجهد للبحث عن خير مشترك وإيجاده. وإن كافة هذه الأبحاث والمساعي تحمل طابع الإسهام في الخزينة أو الحوض المشترك للأمة. فالطرق المؤدية إلى الحقيقة يمكن أن تكون مختلفة ومتعددة، ثم إن الاختلافات حالها كحال الغربال للحصول على أفضل نتاج وأكثره خيرية. وأحياناً يتم في مباحثات أو جلسات حوارية ونقاشية تناول أمر معقد ومشتمل على تناقضات جمة، فينبغي النظر حتى إلى هذا الأمر على أنه خير وإيجابي إذا ما كانت النية متوجهة إلى نيل رضا الله تعالى وإغناء الحوض المشترك للأمة.

إلا أن قول رسولنا الكريم ﷺ: "اختلاف أمتي رحمة" ليس معناه أن كل اختلاف رحمة. فقد حدثت بعض الاختلافات في عصر السعادة، فتدخل فيها النبي عليه الصلاة والسلام بنفسه، ووصفها أنها من "أعمال الجاهلية".

ولذلك فإنه يُثنى على الأفعال والمشاعر التي من شأنها إنماء وتطوير علاقات الأخوة ويُشجع عليها في أي مجتمع إسلامي ، وتُذم الأفعال والمشاعر التي تمس بهذه الأخوة وتقوضها.

ولأنه لا بد من دخول أقوام وشعوب مختلفة في مظلة هذه الأمة بسبب شمولية الدين الإسلامي وعالميته فقد بعث النبي عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع برسائل مهمة وواضحة للغاية والتي من شأنها منع هذه الاختلافات اللغوية والعرقية والعصبيات القومية من الإضرار بوحدة الأمة وتماسكها. تبدو هذه الرسائل وكأنها انعكاس لنية رسول الله بانتزاع العصبية القومية من قلوب المؤمنين وضربها بعرض الحائط.

بقدر ما حرص الإسلام على تأسيس العلاقات الإنسانية والأخوية بين الناس والمجتمعات ، فإنه بالقدر ذاته لم يغفل احتمال ظهور الاختلافات فيما بينهم أيضاً، حتى وإن كانوا مسلمين. إن عالم الإنسان، وعالم العلاقات الإنسانية يعني عالم العلاقات الأولى التي كانت سائدة في بداية الخلق وسُحق فيه الأخ على يد أخيه. هو عالم هابيل وقابيل. وإن المسلمين بدورهم ليسوا بمجملهم بالكائنات المعصومة من الضعف الإنساني، والمنقاة من العصبيات والأهواء.

فعندما نقول المسلم أو المسلمين فإننا لا نتحدث عن ملائكة. وإنما نقصد أناساً كغيرهم من البشر الذين تسلط عليهم الشيطان فتغلغل أحياناً في عروقهم ومجرى دمائهم، وأحياناً تسبب لهم بأمراض في بنيان عصبيات النفس. نتحدث عن حالة استولى فيها الشيطان على بعض أعضائنا... عن عالم صار فيه الشيطان شريكاً لنا في أموالنا، وأولادنا، وأحياناً في أدمغتنا. هذا الشيطان الذي دأبه الإفساد والوسوسة.

تعلمنا الآية التاسعة والخمسون من سورة النساء كيف ينبغي على المسلم التصرف في مثل هذه الأحوال، فتقول الآية الجليلة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ (النساء: ٥٩)

إن الخطاب موجه إلى المؤمنين... فأولاً تَفرض عليهم الانتباه والإصغاء. ثم تأتي النداءا ت والأوامر الأخرى وهي:

- أطيعوا الله.
- أطيعوا الرسول.
- أطيعوا أولي الأمر من الحكام والمسؤولين عن إدارة شؤون الدولة والمجتمع (الذين أطاعوا الله والرسول).

وبعد ذلك تعرج الآية على مسألة حل الاختلافات إن حدثت فتقول:

- إذا اختلفتم في مسألة ما وتنازعتم فيها فأعرضوها على الله والرسول لتجدوا الحل عندهما. فهذا خير لكم سواء الآن، أو من حيث النتيجة فيما بعد.

وبعدها وضع الله سبحانه وتعالى "إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" بين قوسين. بمعنى "أن الإيمان بالله واليومَ الآخرَ" هو الجوهر، والأساس، واللب. أي يريد أن يقول: عندما تصلون غداً في الآخرة إلى أرض المحشر وتقفون بين يدي الله تعالى، وتشهد عليكم حتى أيديكم وأرجلكم حتى وإن امتنعت ألسنتكم عن الاعتراف، فسوف يتبين حينها ما إن كنتم قد رددتم الأمر إلى الله والرسول أم لا. استفتوا قلوبكم ثم انظروا: هل رددتم موضوع الاختلاف إلى الله ورسوله حقاً، أم إنكم اتخذتم أهواءكم آلهتكم، ثم وضعتم ما تمليها عليكم هذه الآلهة محل المعايير والشرائع التي جاء بها الله والرسول؟

استفتوا قلوبكم ثم انظروا: هل تلاعبتم بآيات الله تعالى وحرفتموها عن مقاصدها مقابل ثمن بخس لتستخدموها في سبيل مصالحكم ومنافعكم، وعصبياتكم القومية والجماعية، وهل استخدمتم بعض الأمثلة النموذجية من حياة رسول الله الكريمة لأجل مصالح أحزابكم، وجماعاتكم وإضفاء المشروعية على السبيل الذي سلكتموه، أم لا؟

ماذا يعني "رد النزاع والاختلاف إلى الله ورسوله"؟

ربما كان فعل هذا الأمر سهلاً ويسيراً في حياة رسول الله ﷺ. حيث كان يتم التوجه إلى رسول الله ﷺ، فيُعرض الأمر عليه، ثم يبت الرسول فيه ويحكم وفق المبادئ والأسس المتوفرة لديه، وإن صعب عليه الأمر ولم يكن الحكم موجوداً عنده فكان ينتظر نزول آيات من الله تعالى وحياً.

وحتى في الفترة التي كانت ظروفها بهذه الدرجة من السهولة والوضوح، فقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام قوماً جاؤوا إليه بمسألةٍ اختلفوا فيها بقوله لهم:

"إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها".

إن الإسلام هو الدين الذي أَنَّبَ نبيه ورسولُه واحداص من أحب أصحابه إليه عندما سأله لم قتل جندياً من الأعداء في ساحة المعركة وقد نطق بالشهادتين، وأجاب أنه إنما تشهد خوفاً من الموت، حيث قال له: "أفلا شققت عن قلبه؟". فليس من اليسير والهين إجراء مثل هذه المحاكمة الخارجية وضرب الرقاب ثم إصباغ الفعل بصبغة إسلامية بدعوى أنه إنما فعل ذلك من أجل الإسلام. فذات يوم سوف يُحضر المرء ويمثل أمام المحكمة التي يقيمها الله ورسوله، ويُسأل: "أفلا شققت عن قلبه؟".

- إن العلاقات بين المسلمين في بلادنا وفي العالم لا تخلو من "طابع النفاق".

- لقد صار التكفير، أي ختم شخص ما بخاتم الكفر هيناً وشائعاً لدرجة كبيرة. فينبغي التوقف هنا والتساؤل:

هل يخطر في الذهن عند طبع هذا الخاتم أن الله ورسوله يشهدان على هذا الفعل؟.

- عندما يتحدث الناس والمجتمع عن علامة من علامات النفاق في أحد ما، لا يلتفتون إلى أنفسهم لينظروا ما إن كان هناك سوء ظن أم لا!

- لا يخطر ببال من يجعل آيات الله وشخصية رسوله الله بمثابة هراوة يضرب بها الآخرين، لا يخطر بباله وبال هذا الفعل الخطير.

إن كل من لديه ذرة إيمان، وكل من حضر عدداً من مجالس العلماء ودروسهم، يعلم مدى عظمة المسؤولية التي تقع على عاتقنا بشأن كل قدرةً أكرمنا بها الخالق ﷻ، وذلك فيما إذا كنا قد أضعناها هباءً، أم استعملناها لنيل رضا الله تعالى.

إن الاختلاف يعني الرد إلى الله ورسوله، وعرض الأمر أمام ذاك المقام الجليل. يعني الاستشعار بالمثول أمام ذاك المقام. أي أن يصبح المرء بمرتبة "الإحسان"، بمعنى أن يكون المؤمن كأنه يرى الله تعالى.

إن القول أن الله ورسوله يفصلان في هذا الاختلاف ويحلانه بهذه الطريقة مثلاً، يحمل معنى الحكم في المسألة المختلف فيها وجعل الله ورسوله شاهدين عليها. فهل ـ ناشدتكم الله ـ ما يجري على الساحة الإسلامية من أفعال بشأن الاختلاف يتفق مع مبادئ الإسلام؟ وهل تُحل الاختلافات التي تسري في بنية الأمة في الفترة الأخيرة بتفعيل نظام التكفير، والاتهام بالنفاق الذي يوصف أنه "أشد من الكفر" كما هو منتشر بين المجتمعات الإسلامية؟، هل هكذا يُخرج الناس ويُدخل بعضهم بعضاً من الإسلام وإليه كما يحدث اليوم؟ هل يحصل مثلاً فريقان عندما يختلفان فيصف كل واحد منهما نفسه بالإسلام ويضرب رقبة الآخر على إذن وتفويض من الله ورسوله؟

لا، بالتأكيد لا.

يجب علينا تطهير دواخلنا.

يجب أن نسعى جاهدين لأن نكون أمة تليق بنبينا عليه الصلاة والسلام.

علينا أن لا نقترب من أي فعل سوف نعجز عن دفع حسابه في الآخرة، وبشكل خاص أن لا نأذن بأي أفعال ومغامرات تؤدي إلى إزهاق دم المؤمنين. إن الامتحان الذي نخوضه في عصرنا كمسلمين هو امتحان "أن نكون من أمة محمد بحق". وهذا ليس بالامتحان الذي نجتازه بضرب رقاب بعضنا البعض. وليس ممكناً في القرن الواحد والعشرين أن نحمل ربيع الإسلام إلى الناس في العالم ونحن ما نزال نعاني من "رواسب الجاهلية".

ينبغي علينا إعادة الإصغاء إلى نداء القرآن القائل "ففروا إلى الله". علينا الإمساك مجدداً بيد نبي الرحمة الممدودة إلينا.

أخي المسافر

د. فؤاد آكبنار

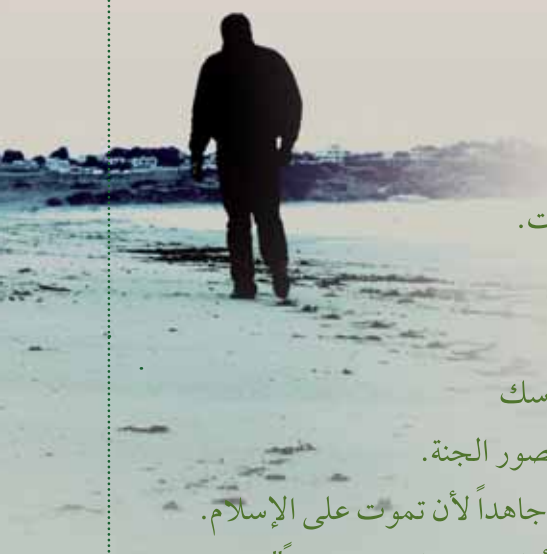

إن كانت قسمتك من العوز والعجز كثيرة، فليكن لك نصيب وفير من العبودية
وإذا كانت رغبتك الوصل، فأقصر طريق إليه المحبة.
إذا كنت تنظر إلى الكون بعين الحكمة فإنك ستقرأ حكماً جمة
وإن صارت يا عزيزي الحكمة نصيبك، فلتكن رحمة للقلوب الغريبة.
إن كانت السفينة المبحرة في محيط قلبك محملة بالمحبة والتضحية
فسوف تصل إلى رضا خالق الكون، فكن دائماً متبسماً في وجه المخلوقات.
إن كانت لك في بستان قلبك شجرة القناعة التي لا تنشغل بدنيا الفانين
فانشغل دائماً بالحمد وليس بالأغيار، ليكن لك نصيب من الغنى.
إن كان قلبك متبعاً أحباء الله خواص الرحمن، وكانت السنة السنية تاج رأسك
فاجعل قلبك في الدنيا مأوى للمحرومين، لتكون في العقبى سيداً أبدياً لقصور الجنة.
إن كنت قد وضعت نصب عينيك أن تكون إنساناً محسناً، وترغب وتسعى جاهداً لأن تموت على الإسلام.
فلتكن العبد الحقيقي الذي يتذوق شراب الشهادة، والمُخاطب بخطاب "أولئك هم المؤمنون حقاً".

من خصائص الإسلام الرئيسية

العالمية (١)

الدكتور: مُراد كَيا

يدعو الإسلام جميع الإنس والجن إليه، فيمكن للإنسان أياً كانت ملته ولونه ومهما كانت جنسيته وبلده أن يكون مسلماً، فالإسلام المنظّم للإنسانية باعتبار الواجبات والحقوق لا يقبل التفريق بين الناس إلا على أساس الإيمان، ففرقة المؤمنين وفرقة غير المؤمنين.

ثم إنّ تخصيص نظام مرسَل لسعادة وسلامة البشر مِن قِبل الله تعالى الذي تحيط رحمته بكل المخلوقات بالقليل من الناس وحرمان سواهم من نعمة الإيمان ليس من المنطق بشيء وهو يناقض صفتَي الرحمن والرحيم الثابتتين لله تعالى، يقول الرسول ﷺ:

"الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ..." (الترمذي، البر، ١٦ / ١٩٢٤)

لم يُعيَّن الجنس في هذا الحديث وليس المقصود فيه المسلمين وحسب بل إن الأمر بالرحمة يشمل جميع الناس وسواهم من الحيوانات والنباتات.

وتُوضَّح بعثة الرسول ﷺ إلى النّاس كافّة في القرآن الكريم على النحو التالي:

﴿قُلْ يَا اَيُّهَا النَّاسُ اِنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ اِلَيْكُمْ جَمِيْعَاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالاَرْضِ...﴾ (الأعراف، ١٥٨)

﴿وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾ (الأنبياء، ١٠٧)

ويقول النبي ﷺ:

"...وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" (البخاري، التيمم، ١)

ولذا فإن النبي ﷺ لم يكتف بإبلاغ مجتمع العرب دين الإسلام ولكنه دعا الإمبراطوريين والملوك والبيزنطة والفرس (الإيرانيين) وبلاد الحبشة والمصريين وسائر الشعوب بإرساله السفراء ومعهم رسائل إليهم.

وفي الوقت نفسه يُعَدُّ الإسلام شاملاً لكل الأمكنة والأزمنة لا يحدّه مكان أو زمان ولذا فإن المسلمين الآن موجودون في كل مكان وكل ملّة. وبالأخص يمكننا لمس الوحدة الإسلامية والأخوة في أبهى صورها عند اجتماع هؤلاء الناس حول أطراف الكعبة تلبية لفريضة الحج في وقتها وعبادة الله الواحد الأحد.

للإسلام تكوينة تمكّنه مِن تلبية جميع متطلبات البشر فهو نظام حياة وعقيدة يوفر لهم حقوقهم الروحية والبدنية والشخصية والاجتماعية وهو دين يكشف الغبار عن مصطلحات لم يحدث أنْ لاقت تفسيراً دينياً مقنعاً أو مُرْضِياً كالحياة والموت والإله والنبي والملائكة والشيطان والدنيا والآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار.

ولعلَّ التذكير بما يلي كافٍ للتعمّق في إدراك هذه الفكرة: فالإسلام كما أنه لبّى احتياجات المجتمع الإسلامي الأول المتشكل مِن ثُلّة مستَضعَفة ومظلومة من الناس فكذا لبى جميع الاحتياجات الأخلاقية والحقوقية للأمة الإسلامية لمّا ازدهرت حيث أنشأت حاكميتها البالغة من المحيط الأطلنطي وحتى محيط الباسيفيك، وكانت أعظم دولة على وجه البسيطة من دون ندٍّ.

إذاً فهذه الأمة كانت في كل زمان ولا تزال تجد ضالتها من المعارف المتعلقة بالإيمان والعقائد والعبادات والحياة الاجتماعية وقوانينها وسائر متطلباتها في هذا الكتاب.

الشباب
وعلاقة المحيط والبيئة

د. آدم أركول

إن لكل شعب، وكل عائلة، وربما لكل فرد مسألة شبابية، بل وحتى يجب أن تكون. وكل إنسان يعبر من المرحلة أو النقطة التي هو فيها عن آرائه وأفكاره حول تلك الفترة، وتطلعاته، وأشواقه وحنينه وصبابته. إنه لشعور جميل. فمرحلة الشباب كنز عظيم لدرجة لا يمكن تركه للشباب فحسب. لأنها أهم ثروة وأهم رأس مال للآباء والأمهات، ولأصحاب القضايا، ولمن يمتلكون أهدافاً ومشاريعاً حول المستقبل، وحتى للدول والشعوب.

تُعتبر مرحلة الشباب بمثابة فصل الربيع في تقويم العمر. فكل شيء حي ونشيط ومتقد ومفعم بالحياة. فالجسم ديناميكي ونشيط، والفهم والإدراك والبديهة سريعة، ومن الصعوبة بمكان وضع حدٍّ للمشاعر والطموحات والخيال، تتميز التصرفات والأفعال بالتموج والتقلب، والصعود والنزول. وفي هذه المرحلة يبرز العصيان بشكل أكبر في طريق إثبات الذات، وادعاء المعرفة، والإصرار والعزيمة، والبطولات، والمغامرات. فينبغي استثمار وتقييم هذه المرحلة بشكل صحيح، وتنظيمها وتوجيهها بشكل دقيق ومحسوب.

يقال إن الإنسان ابن محيطه. فهل يا ترى نستطيع إعداد محيط وبيئة مناسبة لشبابنا كيما تتمايل فيها أغصانهم وفروعهم بارتياح، وتتساقط فيها ثمارهم ونحن مطمئنون عليها؟

- هل بيئتنا العائلية مناسبة لذلك؟
- هل لدينا جهود ومساعي لتعريف الشاب بشكل صحيح ضمن المشاعر والأحاسيس التي يمر بها؟
- هل يمكننا إبداء الاحترام المطلوب تجاهه؟
- هل نفلح بإرسال رسائل بكلامنا، وجسدنا، ولساننا، ومواقفنا تعبر عن سعادتنا بوجودهم، وبأهميتهم وقيمتهم لدينا؟
- أنريد أن نراهم من أجل عالم الحاضر والمستقبل الذي سيعيشون فيه، أم لعالمنا الماضي؟
- هل نعدهم حسب العصر الذي يعيشون فيه، أم حسب الأمس؟
- وما هي حدودنا إذا ما تطلب ذلك بذل التضحيات المادية والمعنوية؟
- وهل لدينا خطط ومشاريع تنموية وتطويرية نحدثهم بها إذا أردنا لهم التفوق بين أقرانهم؟

وهناك أسئلة كثيرة يمكن أن نطرحها على أنفسنا في هذا المجال. ينبغي أن تكون هناك إمكانية لطرح مثل هذه الأسئلة والإجابة عليها بشكل ما ضمن العائلة. لأن البيئة الأكثر تأثيراً في إعداد الشخصية واختمارها هي البيئة العائلية.

لا شك أن إقليم وبيئة التنشئة والإعداد ليست عبارة عن العائلة فحسب.

حيث يأتي على رأس الأقاليم والأوساط الأكثر أهمية بالنسبة للشباب محيط الأصدقاء، والشارع الذي يعيشون فيه. وفي الواقع لقد توسع الشارع وازداد نطاقه حالياً. إذ أن العالم الافتراضي هدم كل الحواجز والجدران، وحوّل كافة الشوارع تقريباً إلى ساحة متاحة لتجول الجميع بكل سهولة ويسر. وحتى الصداقة صارت افتراضية. لقد دخل العالم في مرحلة بالغة الصعوبة والتعقيد. ولكن مع ذلك لا يمكن إنكار مدى أهمية وخطورة الشارع وتأثيره الذي يعيش فيه الشاب، والأصدقاء الذين يرافقهم. وبناء عليه فنحن الآن مضطرون لاختيار الشارع الذي من شأنه الإسهام في تأمين تنشئة سليمة لأجيالنا. فمثلاً التنقلات والهجرات في المدن الكبيرة سوف تكون وفق حسابات أفضلية الأحياء والحارات. لأن الشاب الذي يترعرع في الأحياء الخالية من صوت الأذان ليس مثل الشاب الذي ينشأ في المناطق التي تسودها القيم المعنوية والروحية بكثافة.

إن بيئة الصداقة تحتل المركز في شبكة أهم العلاقات التي ينبغي نسجها بالنسبة للشباب. إلا أنه ينبغي القيام بأبحاث جدية وتقديم مساعدات مهمة للشباب من أجل توفير هذه البيئة. لقد سمعت من أحد كبار رجالنا ما يلي:

"إن الإنسان لا يستطيع النفاذ إلى باطن ابنه كثيراً وخاصة في سنوات شبابه. لقد نظرت فوجدت أن المشاعر والحماس الديني قد بدأ بالتناقص لدى أولادنا. فذهبت إلى الثانوية التي يدرسون فيها وزرت أحد الأساتذة الذي أثق بأنه أهلٌ لبث الشكوى والهموم وصاحب اهتمام ومبدأ. وقلت له: "يا أستاذي الكريم، إن تطور وتوجه أولادنا ليس ضمن النطاق الذي تتمناه قلوبنا. وأنت تعرف في المدرسة الطلاب الذين لديهم مستوى عالٍ من المشاعر والحماس والتوجه الديني. فأريد منك أن تعمل بطريقة ما على إنشاء علاقة صداقة بينهم وبين أولادنا... وحتى أني مستعد لتقديم مساعدة مادية إنِ استدعى الأمر لشراء بعض الهدايا لهم من أجل تحبيبهم بإقامة علاقات صداقة مع أطفالنا والتقرب إليهم. ولكن لا تدعهم يلاحظوا هذه الخطة التي نريد الإقدام عليها، ودعها سراً بيننا". والحمد لله، فقد بدأت هذه المحاولة تؤتي أكلها بعد عدة أسابيع. حيث ظهرت النتائج الإيجابية في صلاتهم، ودعائهم، ونظرتهم إلى الحياة".

> إن مراحل الدراسة التي نطلق عليها مصطلح التعليم الرسمي تستغرق اليوم وسطياً ثلث عمر الإنسان تقريباً. وهذا يعني أن المدارس هي التي صارت حواضن الشباب. وبناء على ذلك يتوجب علينا الاهتمام بهذه المراكز التي يمكن أن نسميها أحواض اختمار المرحلة الشبابية وإعدادها. حيث يأتي التعليم والتربية والمدارس على رأس قائمة المسائل التي ينبغي علينا دولة وشعباً إعطاؤها الأولوية من اهتمامنا ورعايتنا.

هذا مثال من أمثلة كثيرة... وما أود قوله هو أنه ازدادت أهمية شبكة العلاقات التي يتحرك أبناؤنا بداخلها، وخاصة في عالمنا المعاصر. وإنّ مدّ يد المساعدة إليهم في هذه الساحة واجب ومهمة تقع على عاتق المحيطين بهم ابتداء من كبار العائلة، وحتى المعلمين، والمشايخ، والأخوة والأخوات الأكبر سناً، وكذلك الفرق والجمعيات الطوعية.

إن مراحل الدراسة التي نطلق عليها مصطلح التعليم الرسمي تستغرق اليوم وسطياً ثلث عمر الإنسان تقريباً. وهذا يعني أن المدارس هي التي صارت حواضن الشباب. وبناء على ذلك يتوجب علينا الاهتمام بهذه المراكز التي يمكن أن نسميها أحواض اختمار المرحلة الشبابية وإعدادها. حيث يأتي التعليم والتربية والمدارس على رأس قائمة المسائل التي ينبغي علينا دولة وشعباً إعطاؤها الأولوية من اهتمامنا ورعايتنا.

إن المدارس والكليات ليست عبارة عن كتل من الأبنية، وإنما هي مؤسسات ينبغي النظر إليها وتقييمها بكل مشتملاتها من أساتذتها، وموظفيها، ومحيطها، والطلاب الذين يدرسون فيها كماً ونوعاً. إذاً؛ إن المعلم الذي نسلمه طلابنا مهم، والوسط المدرسي مهم، ومستوى الطلاب مهم. ونحن مجبرون على اختيار كل ذلك ومتابعته. وبطبيعة الحال فإن نوعية الحياة تتحدد بنوعية الاختيارات.

يُعد المثل مهم وخاصة في مرحلة الشباب. فالعلاقة المستندة على المحبة والإعجاب التي يمكن التعبير عنهما في ثقافتنا بلقب (آبي/ الأخ الكبير – وأبلة/ الأخت الكبيرة) تعتبر عاملاً مهماً في تسهيل العملية التربوية والتعليمية وتحقيقها بشكل سليم. وتُعد الفِرق والتشكيلات والجمعيات الطوعية من أفضل وأحسن أشكال المساعدات التي يمكن تقديمها للشباب. فهي حسب مكانتها أكثر أهمية من الوالدين، والمعلمين، والمرشدين الاجتماعيين.

يقول أحد كبار العلماء: "اشغل نفسك بالحق، فإن لم تشغلها به فسوف يأتي الباطل ويشغله". إن مغريات النفس والشيطان تكون أكثر نشاطاً وحيوية وتلوناً وتألقاً في مرحلة الشباب. وبناء على ذلك فإن إشغال الشاب بالأمور المفيدة والإيجابية والصحيحة منجاة له من التحول إلى ألعوبة بين يدي النفس والشيطان. وفي هذا السياق فإن تكليف الشباب بأعمال ومهمات في مشاريع تطوعية يُعد أعقل طريق.

إن مغريات النفس والشيطان تكون أكثر نشاطاً وحيوية وتلوناً وتألقاً في مرحلة الشباب. وبناء على ذلك فإن إشغال الشاب بالأمور المفيدة والإيجابية والصحيحة منجاة له من التحول إلى ألعوبة بين يدي النفس والشيطان. وفي هذا السياق فإن تكليف الشباب بأعمال ومهمات في مشاريع تطوعية يُعد أعقل طريق.

إن الوحدة ضعف. إذ أن الشيطان والنفس يتمكنان من إخراج الإنسان الوحيد والمنعزل عن الطريق القويم بشكل أسهل وأيسر. فكثير من المعاصي والذنوب تُقترف عندما يكون الإنسان وحيداً. ولذلك يُعد ضم الشباب إلى جماعات وتشكيلات صالحة وصادقة، وحتى جعلهم أعضاء فيها استراتيجية تعليمية وتربوية مهمة وذلك بهدف الاستفادة من القوة التوجيهية والاقتدائية للجماعة وتأثيرها النفسي على الأعضاء.

يُعد التعرف على القيم الدينية في مرحلة الشباب وحتى التواصل معها ضرورة ملحّة من ناحية وصول الشخص إلى مرتبة يستحق فيها رضا الله تعالى عنه. فينبغي تشكل أساس متين لكل القيم، وخاصة العقيدة السليمة. وينبغي في هذا الإطار تمكين الإيمان بالله، والإيمان بالنبوة، والإيمان بالآخرة في القلب لدرجة لا يُترك معها مجال للشك أو الشبهة. لأن كل متطلبات العبودية سوف تبنى على هذه الأسس.

إن العلاقة مع الدين ليست مجرد علاقة تجميلية خارجية، وإنما ينبغي أن يُحول الدين إلى نظام يشمل كافة جوانب الحياة. وينبغي بشكل خاص تمكين الشعور بالصلاة في هذه المرحلة في القلب، وجعل أداء هذه العبادة بشكل منتظم ومستمر أمراً لا يُستغنى عنه في الحياة. فإذا ما التقت الصلوات الخمسة مع شاب ما فإنه يمكن القول آنذاك بأنه قد

بدأ بإقامة الدين بحق. فالصلاة بهذا المعنى مقياس جيد للمستوى.

يجب عدم إهمال اتخاذ التدابير التي من شأنها حفظ وحماية كرامة وشرف واعتبار الشباب في هذا العالم. وهذا الأمر مرتبط بالشخصية، والكفاءة، والأهلية والمهارة. حيث أن اكتساب المكانة في المجتمع، والحصول على تقدير واحترام المحيطين مرتبط إما بمهنة، أو تخصص، أو خبرة في مجال ما. فإن كان الأمر كذلك، فينبغي استنفار الهمم وبذل غاية الجهود والطاقات لتجهيز شبابنا بكل متطلبات وحاجات العصر الذي يعيشون فيه. وتُعد العلوم والمهارات مثل الشهادات، والإجازات، واللغات الأجنبية، وتعد القدرة على استخدام الوسائل التكنولوجية بسوية جيدة من جملة هذه التجهيزات والمتطلبات.ثم إنه ينبغي أن يكون الهدف الوصول إلى مستوى شباب يتمكن من الوقوف على قدميه بالقدرات والجهود الذاتية، والسير وحتى الجري قدماً، وليس شباباً يعتمد على أبيه وقومه وعشيرته، وكأنه يسير على العكاز.

كما ينبغي أن يكون تنشئة وتطوير الرجل الشاب بلمسات مدروسة وإرشادات غير مباشرة من خلال تكليفه بأعمال ووظائف وخدمات، وإعطائه الصلاحية، وتحميله المسؤولية، وليس باحتضانه وتطويقه، أو إرهاقه والتضييق عليه، أو السيطرة عليه وسلبه إرادته. حيث أن الشباب الذي سوف يمثل عزة الأمة الإسلامية وينظم العالم ضمن نطاق مراد ربه هو الشباب المرفوع رأسه، والواثق بنفسه، والناجح، والماهر في عمله. إن هناك حاجة لشباب قياديين قادرين على توجيه العصر الذي يعيشون فيه ، وليس إلى شباب حُجمت قدراتهم، وأهدرت طاقاتهم، وزالت ثقتهم بذواتهم، وقصقصت أجنحتهم، فباتوا أفراداً عاديين ضمن القطيع وأصبحوا سلبيين خانعي الرؤوس. إن إعداد مثل هذا الشباب القيادي هو واجب مترتب على عاتق كل من هو في موقع المسؤولية، حيث عليهم توفير الأوساط، والإمكانات اللائقة والمناسبة لإعداد هؤلاء الشباب. وإن هناك حاجة إلى قيادات سليمة وناجحة في مجال تشكيل وتوفير هذه الإمكانات كما في كل مجال آخر.

إنكِ أمة عظيمة!

إن كان فيكِ أناس أوفياء من أهل القلوب جعلوا حياتهم في سبيل الله أمثال الغازي عثمان وخلفائه.

وإن كان فيكِ الفاتح محمد، الذي خاصمه أحد رعاياه ذات مرة أمام القاضي في المحكمة، فكان قدوةً للعالَم في نشر العدالة.

وإن كان فيكِ أهل القلوب، أمثال مولانا جلال الدين الرومي،وعزيز محمود هدائي، وآلاف الناس الصادقين الذين يسيرون على نهج هؤلاء العظماء.

وإن كان فيكِ السلطان سليمان القانوني الذي لم ينسَ حتى حقوق النمل.

وإن كانت الأمهات اللواتي يمتلئ صدورهن بنور القرآن يلدن رجالًا صناديد. وإن صغرَت الدنيا في عينَيكِ، وصارت خير الأحوال رضا الله والسعادة في الآخرة، فاعلمي حينئذ أنكِ أمةٌ عظيمةٌ!

عمر الشباب

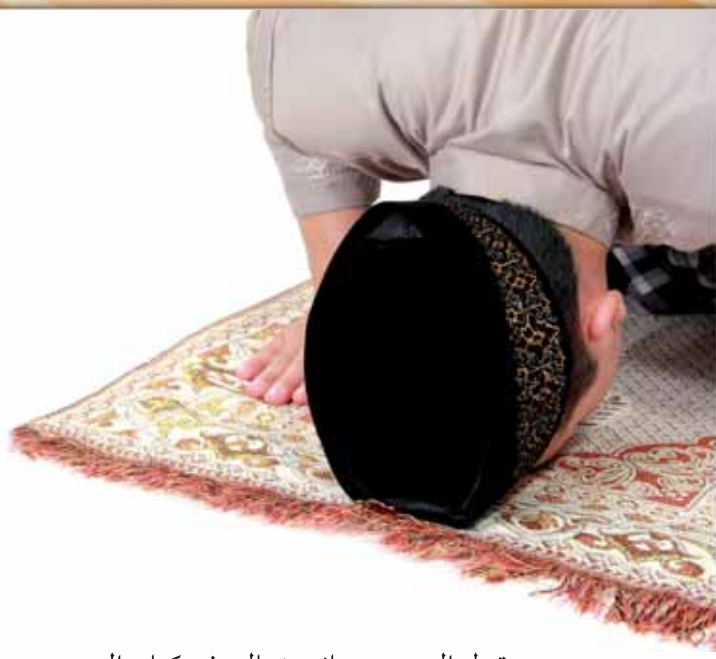

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦)

يطلب الله عز وجل منا أن نحمي أولاً أنفسنا، ثم أزواجنا وأولادنا من فتن الزمان ومفاسده. وإن هذا الهدف العلوي لا يمكن تحقيقه إلا بتعلم ديننا الحنيف تعلماً حسناً، والخضوع لتربية دينية رفيعة.

فيُعد تزويد أبنائنا وشبابنا بالعلوم الضرورية عن طريق المؤسسات التي تكسب خبرة في مجال هذه التربية الدينية أهم وظيفة ملقاة على عاتقنا في هذه الحياة. وللوصول إلى هذا الهدف السامي يتوجب علينا افتتاح المؤسسات التي تتولى القيام بمهمة تعليم كتابنا وديننا مهما كان الثمن.

حيث يقول الإمام الرباني الذي يُعد أكثر أهل التصوف معرفة بحساسية وأهمية هذه المسألة، يقول بشأن خيرية تعلم المسائل الشرعية ونشرها، وأفضليتها على سائر أعمال الخير الأخرى:

«إن إنفاق الملايين ذهباً (من النقود) في سبيل الله تعالى لا يعادل تأييد مسألة واحدة من المسائل الشرعية ونشرها. إذ أن هذا الأمر فيه اتباع للأنبياء والرسل الذين هم أفضل المخلوقات، والتعاون والعمل معهم.

وهنا يوجد أمر معلوم وهو أنه على الرغم من إنفاق الملايين ذهباً من نصيب غير الأنبياء أيضاً، إلا أن أعظم الثواب للأنبياء». (المكتوب: ٤٨)

بيد أن النجاح في هذا العمل ليس بالأمر اليسير. وذلك لأن تعلم الشريعة ونشرها بين الناس أمر لا ترغب به النفس:

وعلاوة على ذلك فإن تنفيذ أوامر الشريعة يحتوي على معارضة ومخالفة تامة للنفس. وذلك لأن الشريعة

د. سليمان درن

جاءت مناقضة للنفس. فالنفس لا ترضى أحياناً في مسألة إنفاق المال. أجل، إن إنفاق المال يحتل مرتبة عالية في مجال تأييد الشريعة ونشرها، فإنفاق شيء من الفضة بنية القيام بهذا العمل يعادل إنفاق الآلاف (من النقود) ذهباً بنيةٍ أخرى. (المكتوب: ٤٨)

إن هذا النوع من المؤسسات التعليمية والتربوية تتلقى الضربة الأولى والأقوى وبخاصة في الفترات التي يتعرض فيها المسلمون والإسلام للضغوطات، وتُعد رعاية هذه المؤسسات والاهتمام بها وحمايتها واجبنا جميعاً في الأوقات الصعبة.

ويضع أهل الله وأرباب التصوف الذين يدركون أهمية هذا الأمر كل ثقلهم باتجاه التعليم والتربية، ويبذلون جهوداً جبارة لافتتاح المؤسسات والمراكز التي تقوم بتعليم الإسلام.

إن التصوف لا يمكن إن يكون من غير علم كما يتوهم أو يظن البعض. حيث أن بداية كل الأحوال المعنوية والروحية تكون من العلم بها ومعرفتها.

ولهذا فإن الإمام يدفع كل المؤمنين وعلى رأسهم الشباب إلى العلم والمعرفة:

إن علوم هذه الطائفة (الصوفيين) هي علم الحال.

والأحوال نتيجة للأعمال. فالحال الموجودة في هذا الشخص نتيجة لعلومه، والعمل بها بانضباط وبشكل سليم، وبحقها. وإن أداء الأعمال بشكل سليم لا يكون إلا بمعرفتها، ومعرفة خصوصية كل عمل منها. وهذا لا يكون إلا بتعلم الأحكام الشرعية الخاصة بعبادات الصلاة والصيام وغيرها من الفرائض، والعلوم المتعلقة بالمعاملات من نكاح، وطلاق، وبيع وشراء، أي العلوم التي أوجبها الله تعالى على العباد ودعاهم إليها. وتُحصل هذه العلوم بالسعي والعمل والقراءة، ولا بد لكل شخص من تعلمها، فلا يمكن لأحد أن يكون بعيداً عنها. والعلم يكون بين مرحلتين، المرحلة الأولى تعلم العلم، والمرحلة الأخرى العمل به بعد تعلمه. (المكتوب: ٢٩)

مع أن هدف التربية الصوفية هو بالدرجة الأولى تحويل ما يتم تعلمه إلى عمل، إلا أن القيام بهذا الأمر متوقف أولاً على معرفة الأوامر والنواهي. ويريد الله تعالى من رب الأسرة التجمل بالصبر في مسألة تنفيذ الأوامر الدينية وبالتالي تعليمها. لأن هذا الأمر يُعد عملية طويلة تستوجب درجة عالية من الصبر والتحمل.

ما يدعو للأسف أن أغلب أرباب الأسر نسوا اليوم هذه المسؤوليات ظانين أن مسؤوليتهم تجاه الأسرة عبارة عن تأمين لقمة معيشة أفرادها فقط.

والحال أن الرزق تفضلٌ وعطاء من الله تعالى لعباده دون مقابل. ويذكرنا الله تعالى بهذه الأمر بقوله:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ (طه: ١٣٢)

كما أن أرباب الأسر وأولياء الأمور ممتحنون في مسألة توجيه شبابنا نحو التربية والتعليم الديني، فإن الشباب أنفسهم أيضاً خاضعون للامتحان في هذه المسألة. لأنه قد تمت إثارة شباب اليوم كثيراً في مسألة التعليم والتربية، فحُمّل الشباب اعتباراً من سن مبكرة بمصاعب وأعباء كثيرة للتمكن من الدخول إلى الكليات التي تجلب الاعتبار والتقدير من الناحية الدنيوية. وأما التعليم الديني فعلى العكس حيث صار يُنظر إليه وكأنه مضيعة للوقت. وذلك لأن النفس والشيطان يُنفران الإنسان من كل نشاط تعليمي يقربه إلى الله تعالى:

"إن النفس والشيطان اللذين يُعدان العدوَّين اللدودَين للإنسان يحاصرانه في مرحلة الشباب ويشغلانه. وبالمقابل فإن العبادة القليلة في عهد الشباب تكون ذات أهمية وقيمة كبيرة. ولا تبلغ مثل هذه القيمة أضعاف العبادات التي تؤدّى في مرحلة الشيخوخة التي لا تتعرض لهذا الحصار والتضييق. فحسب القانون العسكري فإن أدنى حركة أو جهد يقوم به الجندي عند هجوم العدو والتعرض للحصار يكتسب قيمة كبيرة للغاية. ولا يكتسب هذا الجهد مثل هذه القيمة وقت السلم وابتعاد خطر العدو.

فيا بني! لم يُخلق الإنسان الذي يُعد لب وجوهر وخلاصة كل الكائنات، لم يُخلق للهو واللعب، والطعام والشراب. وإنما خُلق للقيام بواجبا ت العبودية، وإطاعة ربه، والتواضع، والاعتراف بالعجز والضعف أمامه، والتضرع واللجوء إليه..".

(المكتوب: ٧٣، ج ١)

لا شك أن الإصغاء إلى هذا النداء في هذا العصر الذي أثر فيه اللعب واللهو على حياة الشباب بشكل متزايد صار أصعب بالمقارنة مع الماضي. ولكن كما بين الإمام فإن ثواب خدمة الإسلام في الأوقات الصعبة أكثر من ثواب خدمته في الأوقات الطبيعية.

والنتيجة؛ لا يقتصر الخضوع للامتحان على الكبار فقط، وإنما يَخضع له في الوقت ذاته كل من وصل إلى سن البلوغ من الشباب. وفي هذا الموضوع ينبغي أن يوقظنا من غفلتنا جواب علي رضي الله عنه لنبينا عليه الصلاة والسلام عندما آمن به. فقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام ابن عمه علي بن أبي طالب إلى الإسلام وهو صبي صغير، وأوصاه أن يستشير أباه أبا طالب في هذه المسألة. فرد عليه علي وهو لا يزال حديث السن بجواب ينمّ عن حكمة بالغة، حيث قال له:

"هل استشار الله تعالى أبي عندما خلقني حتى أستشيره عند الإيمان به!".

نسأل الله عز وجل أن يرزق شبابنا وشيبنا النجاح في هذا الامتحان الشاق. وأن يحفظنا ونحن نخوض الكثير من الامتحانات الصعبة من أجل الحياة الدنيا القصيرة، من الغفلة والكسل بشأن الاستعداد للحياة الأبدية. آمين.

رسالة إلى الأم

"يا أيتها الأم التي جُعلت الجنة تحت قدميها!"

نِسليهان نور ترك

ترتسم علامات الاستغراب والتعجب على وجوه كبار الأمهات من حالة انعدام الاحترام والفتور واللامبالاة التي تسود بين الجيل الحالي، وهم يقولون: "لقد كان أولادنا يفهمون ما سنقوله بمجرد النظر إلى عيونهم". سوف نتطرق في هذه الرسالة إلى الفوارق بين الأمهات في الماضي والأمهات المعاصرات.

"يا أيتها الأم التي جُعلت الجنة تحت قدميها!"

إن التربية الأخلاقية والطبائعية لدى الطفل تبدأ بمحاولة كل من الأم والأب تحسين وتقويم أخلاقهما وطباعهما. وإن أفضل مساعدة تقدمونها لأبنائكم حتى قبل استقرارهم في رحم أمهاتهم هي تسلحكم بالمعنويات والروحانيات، وجعل الغاية من الأعمال والنوايا التقرب من الله تعالى. وعلى ذلك، فينبغي أن تكون أعظم القيم التي تسعون جاهدين وراءها هي العزم على عيش حياة في ظلال القرآن والسنة، والقناعة، والشكر، والسخاء، والمروءة، والفضيلة، والكياسة. والآن، دعونا نقرأ السطور الآتية باستيعاب بهدف نيل رضا الله تعالى:

❁

كانت الأمهات في الماضي يزدن على الصلوات المفروضة النوافل، وكن يعجنّ العجين وهن يرددن دعاء التحيات والصلوات الإبراهيمية. بعد أن يتوضأن، ويمسحن سواعدهن جيداً. ثم كن يخبزن من هذا العجين، ويوزعن الخبز على الجيران. ولم يكن الإنسان وحده ينال حظاً من هذا الخبز، وإنما كان يأخذ نصيبه منه كل من الكلاب والقطط التي تصل إليها رائحته، ولعله لهذا السبب لم تكن البركة تفارق البيوت.

أما الآن؟ فالخبز جاهز، والكعك جاهز، والفطائر جاهزة. وما إن رأت الجيوب بعض النقود، حتى هرعت السيدات إلى الدكاكين ومراكز التسوق. فعبّأن السلال بأكوام من المواد الغذائية التي في غالبيتها مشبوهة وغير مطابقة للشروط الصحية.

وازدادت أعداد السيدات الكسالى اللاتي يقدمن لضيوفهن قطعاً من البيتزا والفطائر الجاهزة، وليس مما يطهينه في بيوتهن. إذ لم يعد لدى الأمهات مزيد من الوقت لإعداد عجينة الخبز، وصنع الشعيرية وإعداد الحساء، وصناعة اللبن في البيوت. لقد صارت الآلات هي التي تغسل الثياب والأواني، ولكن مع ذلك صارت الأمهات مرهقات أكثر. أُطعم الأطفال من هذه الأطعمة الجاهزة، ونشؤوا وهم يشربون عصائر الفاكهة الجاهزة، والكولا، والآيس تي (الشاي البارد) المعلب، وليس عصائر الفاكهة الطبيعية المعدة في البيوت، ولا اللبن والحليب المنزلي الطازج.

❁

وقد كانت الأمهات في الماضي يشترين القماش فيسمين الله عند قصه، وكن يخطن ثيابهن بأنفسهن. كن يخطن ثياب أطفالهن، ستائر منازلهن، وأغطية الآرائك بجهد أيديهن. وهكذا كن يجعلنها أكثر ملاءمة وتناسقاً من جهة، ويعتنين بها ويدركن قيمتها أكثر من جهة أخرى. كن يعرفن استخدام الإبرة، والمخرز، والسيخ وأدوات التطريز ويعلّمن بناتهن ذلك. لم يكن الأولاد الذين ذاقوا نصيباً من طعم الإنتاج يميلون نحو الأشياء الجاهزة، وكانوا يعرفون مهنة يدوية بقدر ما يكفيهم على الأقل.

أما اليوم؟ فالتنانير جاهزة، والقمصان جاهزة، والفساتين جاهزة. وما إن امتلأت الجيوب ببعض قطع النقود حتى صارت السيدات يتفسحن في محلات الأزياء. وصار التفكير السائد: ما الداعي لنشغل بالنا ونتعب أنفسنا! فكل شيء جاهز! لقد بدأت النساء باقتناء الأشياء بدون جهد، والوصول إلى الرحمة بدون مشقة. هل الثوب مفتوق؟ لا داعي حتى لمحاولة إصلاحه. وإذا حدث ثقب صغير في الجورب يُرمى في سلة المهملات. والكنزة التي تغير لونها قليلاً صار اسمها قديمة ومهترئة. لقد صار الأطفال الذين كبروا وهم معتادون على اقتناء قطعة ثياب أسبوعياً تقريباً شرهين، ومحتارين كيف يلبوا أهواءهم ونزواتهم. لقد بدأت حتى اللقاءات الاجتماعية إلى سباق ألبسة. وازدادت أعداد الرؤوس المضبوطة على تغيير غرف الجلوس والنوم كل سنة، والمتململة من استعمال أغطية الرأس أكثر من مرتين. فترعرع وكبر الأطفال في مثل هذه الأوساط دون أن يروا إبرة، أو مخرزاً. تعرفوا على السيخ من خلال شواء الكباب.

❁

كان الأدب سائداً عند الأبواب، وعلى مائدة الطعام، وفي الحديقة، والغرف وكل مكان. كانت الأمهات في الماضي أمهات لأولادهن. ولم تكن الأم تنادي أبناءها بقول "يا أمي"، وإنما كانت تناديه "يا بني!".

وكانت الأمومة (أن تصبح أماً) في الماضي أمنية وهدفاً حتمياً للنساء لا غنى عنه. كن يردن عيش حياة نظيفة خالية من كل شائبة في البيت الذي يدخلن إليه بثوب الزفاف الأبيض، وكانت أمنيتهن الأولى أن يصبحن أمهات. كان الرجل يكد ويكسب من الحلال، والمرأة تلتزم بالقناعة والشكر. وكانت الأمهات في الماضي يرضعن أطفالهن بحس العبادة.

وأما الآن؟ بينما تقول المرأة سوف أدرس، وأحصل على منصب أو وظيفة، وأحقق استقلالي المادي فإذا بها قد تخطت الثلاثين عاماً من عمرها. وإن أغلب الأمهات الحديثات يلقنّ بناتهن الأمر الآتي: "يا ابنتي، لا تنظري إلى يد زوجك! وإنما ليكن لديك عمل وراتب. وإذا ما شعرت بأي ضيق في بيت زوجك فاتركيه وتعالي، ستجدينني بجانبك". وعندما امتلكت الفتيات مثل هذه البطاقة المزودة بتعليمات تفيض بانعدام الصبر والأنانية صرن لا يجدن رجلاً يلبي احتياجاتهن، ويقوم بدور

الزوج، ويتساوى معهن. إن الأطفال الذين اعتادوا على الأطعمة والأشربة، والألبسة الجاهزة، وعلى حياة تسودها الأنانية بقوا أطفالاً وإن تقدموا في السن. فقد امتلأت البلاد بالشباب والفتيات الذين يفكرون بعدم تحمل مسؤولية الزواج. وأُظهرت الأمومة وكأنها عائق أمام الحريات. وجعل إنجاب طفل واحد حضارة، وكثرة الإنجاب جهلاً. إن بعض الأمهات اللاتي يطلقن شعارهن "سوف أعيش حياتي!" سحقن بأيديهن أولادهن الذين نفخ فيهم الروح حديثاً. وتركن رضاعة أبنائهن خشيةً من حدوث خلل مظهرهن الخارجي.

❁

وكانت الأمهات في الماضي يحترمن أزواجهن. لم تكن المرأة تنادي زوجها ب "زوجي"، وإنما تناديه "سيدي". وهكذا فإن الأزواج كانوا يشعرون أنهم أسيادٌ، وكان الأولاد بدورهم يحترمون آباءهم. وبالتالي يكون العيش في البيت ذاته بتحمل وصبر حتى وإن حدثت مضايقات ومشاكل، وكانت الأم تلتزم بالهدوء والسكينة لتسود المحبة البيت ويعم الاحترام. وكان الأدب سائداً عند الأبواب، وعلى مائدة الطعام، وفي الحديقة، والغرف وكل مكان. كانت الأمهات في الماضي أمهات لأولادهن. ولم تكن الأم تنادي أبناءها بقول "يا أمي"، وإنما كانت تناديه ب "يا بني!".

أما اليوم؟ فعندما قالت الأمهات لنكن صديقات لبناتنا وبيت أسرارهن انطلاقاً من مفهوم التربية المتسامحة واللطيفة ضاعت المعايير وصارت وكأنها شريكة في الذنب. لقد جرى التساهل مع الأفعال التي استهجنها القرآن والسنة، وأُظهرت وكأنها أفعال طبيعية من خلال تغليفها بعبارة "ما يزال ابني صغيراً". صار الأطفال يتعلمون من أمهاتهم لبس الماركات، واتباع الموضة، وإجراء محادثات ودردشات على شبكة الانترنت، والابتعاد عن العلاقات الاجتماعية بالانكباب على الهواتف الذكية. لقد صارت عبارة "ما شأنك يا أبي!" إلى تصرف معتاد وطبيعي للأطفال من خلال تقليد الأطفال لأمهاتهم. وعندما قصرت الأمهات في احترام أزواجهن قل أدب الأطفال أيضاً.

❁

وكانت الأمهات في الماضي أحياناً يتعرضن لآلام المخاض عدة أيام حتى يضعن مواليدهن. وكان المواليد يصبحون أكثر مناعة، ومقاومة، وصبراً وجلداً. وكانت الأمهات الحوامل في الماضي يغطين بطونهن ويخفينها جيداً، حتى إن أهل البيت لم يكن يشعرون بحملها.

وأما الآن؟ فقد ازدادت الولادات القيصرية، وكثر المخاض الاصطناعي، وحتى بدأ يظهر نمط من الحمل الخالي من الألم. فتَركت الرحمةُ ذاتُ الأمد الطويل الذين لا يتحملون مشقةً لمدةٍ قصيرة وغادرتْ.

والآن هل سنجلس هكذا ونستذكر الأمهات القديمات؟ أم سوف نكون واحدة من تلك القديمات التي لا تبلى، ونعمل من أجل سعادة أنفسنا وأجيالنا في الدارين؟

ولا بد أن نذكر هنا: أن التربية السليمة والنظيفة تبدأ باللقمة الحلال، وتستمر باكتشاف الطاقات والقدرات وتكاملها وتُتوج بحياة متلائمة ومنسجمة مع الفطرة، وتُنار بالاحترام، والصبر، والأدب. وإن كل نظام تأديبي متنكب عن معيار القرآن والسنة مصاب ومريض.

وفي نهاية رسالتنا سوف يكون أمراً جميلاً أن نقول: "لا ينتهي الأمر بالولادة، وإنما يحتاج إلى العجن. فربي طفلك أنت ولا تتركيه للغير". وتقول الأمهات: "آمين!". لعل أطفالنا أيضاً ينالون نصيباً من مسألة الفهم من نظرة واحدة عند النظر إلى عيوننا.

سويداء القلب

أدهم جبَجي أوغلو

عند النظر في المصادر الرئيسية التي تعود إلى فترة التصوف الأولى يُلاحظ وللأسف عدم وجود بحث مستقل تحت عنوان السويداء وتقدم معلومات موسعة عنها.

استهدفنا في هذا البحث المتواضع جمع ما عثرنا عليه من معلومات متفرقة، وإخضاع المسألة للدراسة والتحليل من كل الجوانب.

يُلاحظ كما سوف نتناول ذلك بتقييمات عامة في مقالاتنا القادمة إن شاء الله، ظهور بعض النتائج الملفتة للنظر تدريجياً من الآن: فمثلاً لاحظنا أن تكرار مماثلة القرآن الكريم القلب مع العقل وتناوله بالمعنى ذاته، والرابطة العلية بين هذين المفهومين ظاهرتان بشكل أكبر في سياق نقطة السويداء. وسوف نتناول هذا الموضوع بالتحليل في الأجزاء اللاحقة لمقالاتنا وذلك تحت عناوين مختلفة بإذن الله تعالى.

سوف نحاول في مقالنا هذا تناول وفهم آراء حضرة إبراهيم حقي الأرضرومي حول "السويداء" وذلك من خلال عنوانين فرعيين.

أ) السويداء كطور من أطوار القلب

يتناول حضرة إبراهيم حقي سويداء القلب في كتابه "معرفة نامه". ولا شك أن كل إنسان يحمل في ذات حقيقته الإنسانية كطاقة كامنة وذلك فوق حد الزمان والمكان. فبعض الناس يفلحون في إظهار هذه الطاقة من خلال السير والسلوك أي بالتربية التصوفية، ويجعلونها حقيقة واقعة ويصبح حضرة الإنسان، بينما يعجز البعض الآخر عن تحريك هذه الطاقة، أي لا يستطيعون إظهار إنسانيتهم، حقيقتهم الإنسانية، فيعيشون كالأموات، دون ولادة بالولادة الثانية، وعلى الحال ذاته يموتون وهم ميتو القلب.

واعتماداً على الحديث النبوي:

"ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" (البخاري، الإيمان، ٣٩؛ النسائي، البيوع، ٢؛ مسلم، المساقاة، ١٠٧؛ الترمذي، البيوع، ١؛ الجامع الصغير، ٣٨٥٦). يقول حضرة إبراهيم حقي:

إذاً؛ إن إصلاح القلب أولى وأهم من أي أمر آخر. لأن القلب سلطان نافذ حكمه وأمره وكل أعضاء الجسد الأخرى عبارة عن خدم عنده ومواطنين في سلطنته. ويُصلح القلب إذا ما حُرر من الخصال والأفعال السيئة والخبيثة، وجُهز بالخصال الحسنة والخيرة. وبعبارة أوضح؛ يُصلح القلب باتباع أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله، وأخلاقه.

إن القلب الذي تم إحياؤه هو القلب الذي ظهرت وانجلت الإنسانية الكامنة بداخله، وبالتالي منفتح تجاه الإنسانية.

كان المرحوم حضرة سامي أفندي – قدس سره – يؤكد في هذا الخصوص على الأمر الآتي:

"ادخلوا القبر كإنسان. فنحن نعطيكم هذه الدروس المعنوية الروحية كي لا تبلى أجسادكم في المقابر. لأن من يكون إنساناً، أي عاشقاً لا يموت!..".

يضع حضرة إبراهيم حقي ـ قدس سره ـ سويداء القلب في أعلى مراتب "الإنسانية".

إلا أنه لمجيء ولد القلب إلى الدنيا لا بد قبل كل شيء من تشقق قشور بيضته وولادته. ويدعو ذلك بالولادة الثانية.

وحسب رأيه فإن قلب الإنسان عندما يتوحد مع الروح الإضافية يبلغ الحياة الدائمة، وبذلك فإنه يجتاز مراتب الحيوانات والملائكة (السفلية والعلوية) كلها، ويصبح الإنسان الكامل. أي يصبح "إنساناً".

ويتابع إبراهيم حقي ـ قدس سره ـ فيقول:

حيث يقول عيسى عليه السلام: "لا يمكن لأحد الدخول إلى الملكوت، والسماوات، وعالم الملائكة من غير أن يلد مرتين!".

إن الولادة الأولى التي أشار إليها عيسى عليه السلام هي قدومك إلى الدنيا من رحم أمك. أي خلاصك من تلك الشدة والظلمة التي كنت فيها داخل بطن أمك، تطهرك من المياه المختلطة بالدماء التي كانت في بطن الأم واحتلالك لمكانك في عالم الأجسام كشخص معين. هي ولادتك مزيناً بالأحاسيس والطاقات والقوة.

وأما الولادة الثانية المشار إليها فهي تطهرك من الصفات الحيوانية والخبيثة. هي خلاصك من ظلمات وكدورات النفس واكتسابك لخصائص الملائكة بالطهارة المعنوية والروحية. وهكذا فإنك ستأتي إلى عالم القلب، وتكون من عالم الملائكة، وتجد طريقاً للانضمام إلى الأنس القريب من الحق سبحانه وتعالى. وفي عالم المعنى ذاك سترى درجات قلبك كواحد من أهل القلب. وستتكامل وتنضج في أطوار القلب السبعة، وتبلغ مرتبة المناجاة مثل موسى عليه السلام.

وهنا يبين إبراهيم حقي أن ولد القلب ذاك القادم إلى الدنيا كأنه في مراتب القلب السبعة يمر بمراحل النضوج والكمال مثل مرحلة المهد، والطفولة، والبلوغ، والشباب، والكهولة، والشيخوخة ثم نقطة السويداء أي الموت. ويوجد في نهاية المراحل سحابٌ حالك السواد، النقطة السويداء، أي الموت قبل الموت، ويدعو ذلك بالصّديقية.

يقوم حضرة إبراهيم حقي الأرضرومي ـ قدس سره ـ أولاً بتقسيم القلب إلى سبعة أطوار ويوضح تطور تكامل القلب حتى النقطة السويداء على هذا المنوال. ويطلق على كل حالة من أحوال القلب تسمية طور.

١. يقول إبراهيم حقي ـ قدس سره ـ عليك في الطور الأول لقلبك أن تستخدم عقلك أولاً، لتكون

"مؤمناً" يميز بين الحق والباطل. أي حسب رأيه فإن حالة القلب الابتدائية، والأكثر عمومية هي درجة "الإيمان". أي أن القلب يسلك الطريق.

٢. الطور الثاني هو "صدر القلب". وفي هذه المرتبة تتشكل لدى أهل التفكر لذة انشراح الصدر. أي أن هذه المرتبة هي حالة الشعور باللذة والفيوض نتيجة التفكر وإشراق أسرار المعرفة الإلهية في القلب.

٣. أما الطور الثالث للقلب فهو "حبة القلب". فالقلب في هذه المرحلة من النضوج والكمال ينسى الحزن والفرح، ويحلّق حسب رغبات العالم المعنوي، ويتجاوز المنازل. أي يقف على الحياد تجاه الفرح والحزن. ويشار إلى طور ومرتبة حيادية القلب في القرآن الكريم، بقوله تعالى:

﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: ٢٣)

٤. وطور القلب الرابع هو "مُهجة القلب". أي روح القلب. وفي هذه الحالة يميز القلب بالفراسة بين تجليات الجمال الواردة من الله تعالى، وبين تجليات الجلال الصادرة عن النفس.

٥. وأما الطور الخامس للقلب فهو "الشغف". وفي هذه المرتبة يأخذك الحق من نفسك بالجذب، وتتخلص من حب الدنيا، وتصير قليل الضحك. ويُشار إلى هذا الطور في القرآن الكريم من خلال الأمر الآتي:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ (التوبة: ٨٢)

٦. ويُسمى القلب في الطور السادس بـ "الفؤاد". وفي هذه الحالة تبدأ الواردات بالورود من الرحمن إلى القلب، ويتم التخلص من وساوس النفس. ويصبح مظهراً للجمال. حيث تتحقق الاستعاذة المذكورة في الآية الكريمة:

﴿ ...مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (سورة الناس) ويصبح هذا القلب مظهراً للجمال.

٧. والطور السابع هو "السويداء". وعند الوصول إلى هذه المرتبة الأخيرة تصبح بالاستقامة والإخلاص والصدق من الصّديقين. ويصبح القلب مرآة الجمال، ومحل نظر الحق سبحانه وتعالى. فيمتلئ بالأنوار والطمأنينة والسكينة، والسرور. وهنا يقول حضرة إبراهيم حقي الأرضرومي ـ قدس سره ـ الذي يبين أهم خاصية من خصائص نقطة السويداء: إنك في مرتبة القلب هذه تخرج من الزمان والمكان، حيث يصل العبد إلى حالة اللازمان واللامكان مثل المتصوفة الآخرين. وحسب رأيه فإنك فيما بعد هذه السويداء سوف تعلو إلى أسمى سماء، إلى السماء العمياء التي كما ورد في الحديث الشريف بما معناه:"ما

يقول حضرة إبراهيم حقي الأرضرومي الذي يبين أهم خاصية من خصائص نقطة السويداء: إنك في مرتبة القلب هذه تخرج من الزمان والمكان، حيث يصل العبد إلى حالة اللازمان واللامكان مثل المتصوفة الآخرين. وحسب رأيه فإنك فيما بعد هذه السويداء سوف تعلو إلى أسمى سماء، إلى السماء العمياء التي كما ورد في الحديث الشريف بما معناه:"ما فوقها هواء ولا تحتها هواء."، أي إلى الغيمة الشديدة السواد. وتبلغَ مقعد صدق (مقام الصديقية) مع الأنبياء والرسل عند الله القادر على كل شيءٍ. وهناك تجد السلام والسكينة والطمأنينة واللذة والنشوة الأبدية اللامتناهية.

فوقها هواء ولا تحتها هواء." ، أي إلى الغيمة الشديدة السواد. وتبلغَ مقعد صدق (مقام الصديقية) مع الأنبياء والرسل عند الله القادر على كل شيءٍ. وهناك تجد السلام والسكينة والطمأنينة واللذة والنشوة الأبدية اللامتناهية.

يقسم إبراهيم حقي الأرضرومي القلب إلى درجات تكاملية حسب الترتيب الآتي:

"الإيمان، وصدر القلب، وحبة القلب، ومُهجة القلب، والشغف، والفؤاد، والسويداء".

توجد هذه الأطوار السبعة في قلب كل إنسان. إلا أن هذه الأطوار في القلب الذي لم يتكامل بحالة انتظار قسري. أي لا بد من تحريك بنية هذه الطاقة وتشغليها وإخراجها بالتحقق، والتحقيق حتى تظهر صورة العبد صاحب الصديقية.

إن ما يلفت الانتباه هو أن المتصوفة الآخرين يرون السويداء كبداية، بينما يراها إبراهيم حقي الأرضرومي نهاية الأطوار وآخرها.

وفي الواقع يمكن النظر إلى الرأيين أو الاتجاهين على أنهما متممان لبعضهما. حيث أن الروح باعتبارها كائناً غير منحصر في زمان أو مكان تتابع رحلتها في طور سويداء القلب إلى ما وراء الميتافيزيقيا، أي إلى العماء والحقيقة الإنسانية.

فمثلاً يسمي ابن براجان جانب القلب اللازماني واللامكاني المفتوح على الماوراء ب "القلب"، بينما يسمي جانبه الزماني والمكاني المفتوح على العقل ب "الفؤاد".

ويُطلق الحلاق على السويداء في كتاب الطواسين تسمية الباب. أي أن هذا الجانب من القلب الذي يُسمى بالسويداء باب مفتوح على ذات الله الذي لا يحده زمان ولا مكان، ويسميه المكان الذي يرد عليه الذكر، وباب نزول الوحي، وبداية كل شيء، وظهور المشاهدات، والمفتوح على الموت والآخرة.

حتى وإن بدت هذه النقطة السوداء مغلقة بشكل عام، فإنه في النهاية يوجد وراءها كما قال إبراهيم حقي الأرضرومي "عماء" . وهذا هو مقام الصديقية التي تُعد آخر وأعلى درجات الإيمان...

العماء؛ يعني السحاب المظلم الكالح السواد، ويأتي بمعنى العمى التام. أي إن العماء مساحة من الوجود باقية في الظلمة قد عجز العقل عن الوصول إليها وفهمها وإدراكها... أي أن الكون كله كان في البدء في المجهول. وعندما قال الله عز وجل "كن!" ظهر كل شيء أي الكون كله. أي أن نقطة السويداء والعماء الذي وراءها مباشرة هي كما قال بذلك متصوفتنا أيضاً مكان ظهور كل شيءٍ.

تصبح المشاهدة في هذه النقطة التي عدها إبراهيم حقي الأرضرومي أعلى نقطة للكمال الروحي، تصبح تامة ومتكاملة. ويصبح العبد في هذه المرتبة من الكمال بحالة يرى فيها عظمة الله تعالى كما ورد ذلك في حديث الإحسان. وهنا تتحقق الشهادة. أي تصبح الشهادة: أنا أؤمن أنه لا إله إلا الله كما أشاهد وأرى بعيني.

وباختصار؛ يرى إبراهيم حقي الأرضرومي ـ قدس سره ـ أن نقطة السويداء مرتبة من مراتب قلب العبد المفتوحة على الله تعالى، أي مفتوحة على ما وراء حدود الزمان والمكان.

دلّال من دون تعيين

الأستاذ: جمال نار

يوجد في الأسواق عدد من الدلّالين غير المعينين، ينادون على الناس ليأخذوا بأيديهم ويذهبوا بهم إلى شيوخهم، بغض النظر عن كون الرجل الذي يقتادونه جاهزاً أم لا، وهل اتجهت إرادته لسلوك هذا الطريق السامي، وهل لديه رغبة لأن يكون مريداً أو لا. بل كان يأتي الجواب على هذه التساؤلات بالقول: "ستحدث هذه الأمور فيما بعد يا سيدي، وإن هذا العصر عصر فتن، فدعونا ننقذ إيمان هؤلاء وفيما بعد سيلغون التحقيق التقليدي إن شاء الله!..".

هكذا إذاً!.. ماذا أقول سوى: إن شاء الله يحدث ذلك!..

ولكن انظر ليس من حقك الشكوى والتذمر فيما بعد. فتقول: "سيدي لا يُعد مريدين جيدين الآن. وفي الماضي كان هذا العمل مختلفاً". إذاً فليس من حقك التذمر!..

أجل؛ لقد كان هذا العمل مختلفاً في الماضي. حيث كان الإنسان ينظر إلى محاسنه، ويقول لنفسه: "أنا أيضاً أريد أن أكون هكذا" ثم يأتي إلى الباب. ولكن لم يكن يؤخذ مباشرة. وإنما كان الأمر يتطلب بعض التمنع، والتوسل. وعلى الأقل كان يُطلب من القادم الاستخارة... كان يُقال للقادمين كما يقول سيدنا حبيب الله مظهر، وشاه عبد الله الدهلوي:

– "هنا حيث تُلعق حجارة ملساء خالية من الملح. اذهب وابحث لك عن مكان فيه متعة وحماس وشوق".

وكان الطلبة يقولون كما يشير إلى ذلك الدهلوي:

– "وأنا أبحث عن لعق حجارة خالية من الملح".

لم يكن في الماضي يُجمع الرجال من الأزقة والطرقات كما يحدث اليوم. فقد كانوا يقولون للطالبين: "لا يمكن للمولع بمتعته، وأهوائه، وراحته، أن يكون طالب حق". ويذكرونهم بجهاد النفس، والجهاد الأكبر، فلم يكونوا يريدون المعذورين في الوظائف.

والحاصل؛ لقد كان المريد يتضرع ويتوسل، والمرشد يتمنع ويتدلل. فلم يكن المريد يمنن بقدومه. إذ أن قبوله من قبل المرشد كان يُعد سعادة وحسن طالع بالنسبة له.

سمعت من العم محمد مزراكجي المرعشي يقول:

"لقد كنت قد تلقيت دروساً من حضرة محمود سامي رمضان أوغلو أفندي. فلم يكن عشق وحماس وشوق هذه الحياة الجديدة يدعني أهدأ وأسكن. كنت أدعو كل من أعتقد أنه مناسب ومستعد لسلوك هذا الطريق المعنوي المبارك. وذات يوم ذهبت إلى اسطنبول لزيارة سلطاننا. وخلال الجلسة مال إلي وهمس في أذني قائلاً:

- يا مزراكجي أفندي، إننا لم نعينك دلالاً على مرعش. فتجمدت في مكاني...".

أجل؛ سيكون أمراً جيداً إذا تعامل الشيوخ مع هذا العمل وتدخلوا فيه بشكل حسن كما فعل سامي أفندي، فقد رمى المريدون الأغرار هذا العمل بين الأقدام. يظهر من الحال السائدة اليوم وكأنه لا يُسأل ولا يتوقف على هذه الأمور: فلا يسأل هل الناس مؤهلون ومستعدون للخروج في هذا الطريق المعنوي أم لا؟ وهل لديهم الرغبة والإرادة للسلوك؟ وهل مستعدون للأعمال والوظائف المتعلقة به؟". حيث يمسكون بيد كل من يجدونهم في الطرقات ويقتادونهم إلى التكايا ويلقون عليهم الدروس دون الالتفات إلى هذه الأسئلة وأمثالها. يأخذون من يأخذونهم، ولكن يا ترى كيف يلقي المعلمون الدروس؟.

يخطفون المريدين المزعومين ثم يخلون سبيلهم. ولا يعلم أحد بعد ذلك أين هذا المريد المجا ز والمطلق سراحه، وماذا يعمل، وهل يقوم الليل، وهل يتهجد، وهل هو مشغول بذكر الله تعالى، وهل طعامه وشرابه من حلال أم من حرام، ومن هم الذين يرافقهم ويتعامل معهم... إلخ؟. وإذا ما ألححت قليلاً فالذريعة جاهزة: "يجب أن يكون الأمر كذلك، فالزمن سيءٌ جداً. فالزمن ليس زمن اكتساب الكمال، وإنما زمن إنقاذ الإيمان. ولعله يُنقذ الإيمان بمحبة الأولياء".

ليس هذا هو الغاية من التصوف والطريقة، فزيادة العدد لا تجلب فائدة للطريق! أجل، دعونا نفعل كل شيءٍ من أجل إنقاذ إيمان الناس، ولكن دون إفساد شيءٍ من القيم الأخرى بإذن الله تعالى!.

الكِبر

عن عبدالله بن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمانٍ، ولا يدخل الجنة أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردلٍ من كبرياء» رواه مسلم

ويقول سيدنا أبو بكر ﷺ:

«إذا تكبَّر العبد لنعمة دنيوية أصابته، أبغضه الله تعالى حتى تذهب تلك النعمة عنه».

ويقول مولانا جلال الدين الرومي:

«السيف يقطع عنق مَن له عنق... ولكنَّ ضربته لا تجرح الظلَّ لأنه على الأرض ممدود».

ويقول الشيخ سعدي الشيرازي:

«إن الذي يظن أن في داخله شيئًا مثل الفستق، يكون كالبصلة لا يجد في داخله إلا القشور».

ويقول الشيخ الحاج بيرم ولي:

«الكِبر كالحجر الموضوع على الظهر، لا تسبح به ولا تطير».

من حديقة القرآن

جعفر دورموش

الصدق والعناية والاستقامة

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾

ما إن تشرق داخل صدورنا عبارة الدعاء التي جرى تعليمها لرسول الله في سورة الإسراء، حتى يُضاء طريقنا ويُنار. إذ جاء فيها:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (الإسراء:٨٠)

عند قراءة هذا الدعاء الوارد في كلام الله تعالى نتذكر أدعية النبي عليه الصلاة والسلام القائل:

"شيبتني هود وأخواتها".(رواه الترمذي)

والتي من شأنها تثبيتنا على الاستقامة. فهو الذي كان يزين حياته كلها بحركاتها وسكناتها بالأدعية، فيلجأ إلى الله من الخشية والخوف، ويسأله ما يريده ويتمناه. وهو يعلم أمته أن يطلبوا من الله تعالى حتى أصغر حاجاتهم. ويعلمهم الاعتماد والتوكل عليه، والثقة به، والالتجاء إليه، والرجاء منه ولكن الحذر من غضبه أيضاً. وكذلك تعليق القلب به خشية من سخطه. والاستغفار في اليوم مائة مرة على الأقل...

ويُؤمر من يكون هذا حاله بالتضرع بقوله:

"رب! أدخلني مُدخل صدق، وأخرجني مُخرج صدق!".

وسوف أحاول فيما يلي بيان معنى ذلك.

فحسب ما ورد في روح البيان فإن العبارة الواردة في الآية الكريمة مذكورة كمقابلة لمدخل سوء، ومخرج سوء.

وهناك من يذهب إلى أن الآية نزلت حين الأمر بالهجرة إلى المدينة وأن المقصود من "الإدخال والإخراج" هو الإدخال إلى المدينة والإخراج من مكة. حيث قيل أن آية:

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ (الإسراء:٧٦)

تدل على هذا المعنى.

ولكن حسب الرأي الذي ذهب إليه الأكثرون فإن المقصود في الآية الكريمة هو:

"أن يدخله الرب في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وأن يخرجه منه".

وعلى ذلك فإن معنى الآية يكون:

"رب! حيثما أدخلتني وأخرجتني فليكن بالصدق مني ولا تجعلني ذا وجهين فإن ذا الوجهين لا يجوز أن يكون أميناً".

وعلى كل الأحوال فإن معنى الدعاء بشكل أوسع هو: رب! ارزقني الصدق عند البدء بكل عمل، والدخول إلى أي مكان. وارزقني الصدق عند الانتهاء من كل عمل قمت به، والخروج بصدق من كل مكان دخلت إليه. ووفقني إلى عمل وقول ترضاه وتتقبله. أسألك الصدق عند الدخول والخروج من واجبات العبودية التي أمرتني بها. وارزقني الصدق والاستقامة في القيام بواجب تبليغ دينك المبين ووفقني في عملي!

وأحطني بعنايتك ورعايتك للانتهاء بنجاح من كل عمل بدأته بصدق. وأرسل إلي معيناً قوياً يتمكن من هزيمة كل من ينصب المكائد في طريق الذين يسعون في سبيل الله. واجعل لي سلطاناً، برهاناً، وقهراً، نصيراً. يقهر الكافرين بتجليات قدرتك، وينصر المؤمنين ويكونون هم الأعلَين! وإننا مؤمنون بأن الحق منصور والباطل مهزوم لا محالة".

ونريد هنا لفت الأنظار و بشكل خاص إلى أن الدعاء الذي يشكل موضوع بحثنا يأتي بعد الآيات المتعلقة بالصلوات الخمس والتهجد.

والآن، إننا مأمورون من خلال النبي عليه الصلاة والسلام بمثل هذا الدعاء، والتوقف عند هذه النقطة بحيث يمكننا القول هنا: إن الصدق من أكثر الخصائص المميزة للإنسان المسلم، وينبغي أن تكون ثابتة وغير قابلة للتغير. ينبغي أن يُقرن اسم المسلم بالصدق ويُذكر معه؛ وأن تتميز أعماله وتصرفاته بالصدق. لأن صفات المسلم الأخرى لا تبنى إلا على الصدق، ويصبح لها معنى.

وإن عناية الله سبحانه وتعالى تتنزل بناءً على الأعمال والأقوال التي تبدأ وتنتهي بالصدق. أو يُنتظر العون من الله سبحانه وتعالى طالما أن العمل والقول صادق.

ولا تُنال البشارة الواردة في الآية القرآنية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:٣٠) . إلا بالصدق والاستقامة.

لقد ورد في أحد التفسيرات أن البشارة التي يُبشر بها المؤمنون المبينة صفاتهم في الآية المذكورة من قبل الملائكة ستكون حين الموت.

وفُسرت "الاستقامة" هنا أنها تكون بالتحلي بصفات أبي بكر رضي الله عنه في الأقوال والأفعال؛ وبصفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في البعد عن النفاق؛ وبصفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في الإخلاص في العمل، وبصفة الإمام علي رضي الله عنه في أداء الفرائض.

وقيل أن بشارة الملائكة "لا تخافوا" تكون بعد الموت ومتعلقة بالأعمال السابقة، وأما بشارة "لا تحزنوا" فإنها متعلقة بالأهل والأولاد الذين تركهم خلفه.

والحاصل؛ حتى ينال العبد العناية الإلهية في الأعمال الدنيوية، ويكون من المبشرين في الآخرة ينبغي عليه الالتزام بالاستقام والصدق في كل زمان ومكان، وفي كل أحواله.

صاحب الوفاء
موسى طوباش

رحمه الله

ولد الأستاذ موسى أفندي (رحمه الله) في أوائل عام ١٩١٧م في قضاء قادين خان التابعة لمحافظة قونية وينتمي الأستاذ لأسرة كبيرة ومرموقة ومعروفة باسم السادة طوباش. وهو من أحباء الله المتميزين والذي يشغل مكانة ممتازة في أفئدة الذين عرفوه وذلك لإيمانه القوي بالله ﷻ وإخلاصه وتقواه واستقامته ومعاملته بالشفقة والرأفة لإخوانه . وهو الشخصية المتميزة المستثناة من حيث معرفته بالله ﷻ والذي نستطيع أن نشاهد الإعجاب والمحبة والإطمئنان والوقار والاعتدال والانتظام والرقة والكرم ودرايته للأمور كما أنه يتصف بمظاهر الأخلاق الكريمة الجميلة وعندما ترى وجهه تحس فيه حظ وشرف العبودية ويشعرك بالراحة والحضور والطمأنينة فتلاحظ فيه التجليات الإلهية تظهر عليه بكل وضوح وقد أحسن الله وتفضل على هذا الرجل الفاضل بنعم كثيرة.

من حِكمه

مهما تعبَّد الإنسان ولو أمضى عمرَه بين السجود والركوع والصدقة والصيام فإنه لن ينال بذلك إلا الثواب فقط، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى الترقي الروحاني إلا عن طريق السير والسلوك.

❁

إذا حقق العبد الوصال مع ربه جلَّ وعلا، فقد حقق الوصال مع كل شيء، أما إذا لم يحقق الوصال مع ربه فلا قيمة له مهما ذاع صيتُه، وأثنى عليه الناس كلهم في الدنيا.

فلتعلم أنه كما لا توجد نهاية للعبودية، فلا نهاية أيضًا للسير والسلوك، فمنْ قال: «وصلت إلى الكمال»، فقد بقي في منتصف الطريق، أما من رأى نواقصه وعيوبه، فهو في ترقٍّ دائم.

❁

إذا شعر الإنسان أنه عبد لله سبحانه وتعالى، فأطاع أوامره في كل شيء فقد نال المراتب العليا، لكن ينبغي ألا نكون عشاق مراتب، إذ علينا أن نخضع لما يأمرنا الله به خضوعًا نابعًا من المحبة، ونحذر ونحترس مما ينهانا عنه سبحانه ونستمر بالعبودية لله تعالى، فكلما

ثبتنا على ذلك أكرمنا ربنا سبحانه وتعالى بالأحوال الجميلة الحسنة، وعندئذ ننجو بأنفسنا بإذن الله تعالى.

❁

يا رب لا تحرمنا من نعمة المحبة، فكل شيء يزدهر ويحيا ويقوى بمحبتك يا رب العالمين، يا رب اجعل منْ تحبهم محبوبين عندنا، فكما جعلت رسولك الكريم عليه الصلاة والسلام محبوبًا عندنا كذلك اجعل كل ولي، واجعلنا يا رب على أعتاب محبة أهل البيت والصحابة الكرام رضي الله عنهم وكلِّ منْ يحب دينك ويخدمه دون استثناء.

❁

يجب على المؤمن أن يستعظم ذنبَه الصغيرَ دائمًا، فأولياء الله يرون أصغر زلة كالجبال الشاهقة، فيستغفرون ربهم ويتوجهون إليه بحالة انكسار تامة، ودموع منهمرة، وندامة وحزن.

❁

الكيِّس منْ يصلح وعاءه أولا فيغلق ثقوبه قبل أن يملأه، فمهما وضعتَ أشياء عظيمة في وعاءٍ مثقوب أو مشقوق، فلن يحافظ على ما يحويه.

❁

يجب على الكيِّس أن يصون نفسه وأهله من ذوي الأخلاق السيئة والإيمان الضعيف، وأن يبقى بعيدًا عنهم، فالأحوال والأخلاق تنعكس على الإنسان بسهولة ممنْ يألفه ويستأنس به.

❁

إن ما يوصل العبد إلى معرفة الله من جواهر هي بذور موجودة حقًا في تربة البدن، ولكي تنبت هذه البذور لا بد من دوام الحمد والشكر والذكر والتفكر... إن رأس المعرفة التفكر في أسرار الإبداع الإلهي.

❁

يصل الإنسان إلى معارف روحانية كثيرة لم يتعلمها من الكتب، نتيجة التفكر والمراقبة بقلب سليم مطهَّر مما سواه تعالى.

يجب تعلم الأحكام الدينية بسؤال العلماء الصالحين، إذ إن فتاويهم تكون أكثر إصابة وأعظم تأثيرًا لأنهم أصحاب تقوى، ومن ناحية أخرى يجب الابتعاد -قدر الإمكان- عن علماء الدنيا الذين يجعلون علمهم قربانًا لكسب المال ونيل المناصب.

❁

ومن أظلم من أب وأم لا يعلِّمان أولادهما الدينَ... فتربية الأولاد دون دين كزرع شجرة من أجل حرقها في المدفأة.

❁

حتى لو جمعتم مئة إنسان ناقص، فلن يقوموا مقام إنسان كامل.

❁

إن العبادات التي أمر بها الإسلام هي كلها لصالح العباد ونفعهم، إذ إن الله تعالى ليس بحاجة إليها أبدًا، فالله تعالى مستغنٍ عن عباده، فقد شرَّفهم بالأوامر والنواهي ليفتح لهم سبل الفلاح والرقي، فعلينا -نحن العاجزين- أن نشكر الله تعالى على هذه النعمة الكبيرة.

❁

من شعارات أولياء الله أنهم يتحملون أعباء الآخرين.

سعينا للخدمة ولكن جُنْدًا لا قادةً.

❁

لا يمكن للمرء أن يهمل الصغائر مدعيًّا أنه يقوم بالأعمال العظيمة، فالأعمال الصغيرة تصبح كبيرة حين تتراكم.

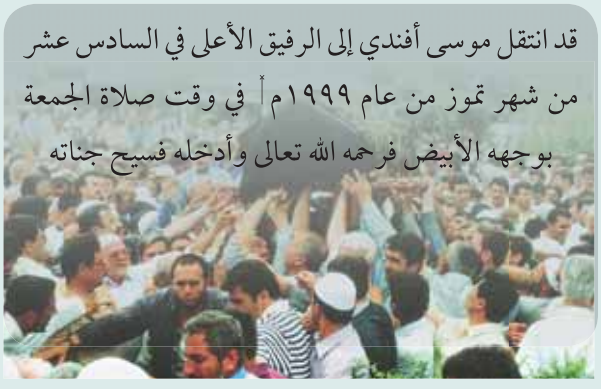

قد انتقل موسى أفندي إلى الرفيق الأعلى في السادس عشر من شهر تموز من عام ١٩٩٩م في وقت صلاة الجمعة بوجهه الأبيض فرحمه الله تعالى وأدخله فسيح جناته

من حديقة الفؤاد

عثمان نوري طوباش

التصوف

وصولٌ إلى الكمال بالقرآن والسنة (١)

لا بد للوصول إلى مرتبة "**الإنسان الكامل**" التي يهدف إليها الإسلام من فهم الحياة الدينية وتطبيقها وعيشها بشكل تتكامل فيه المادة والمعنى، والظاهر والباطن، وينسجم فيه العقل والقلب، ويتلاقى فيه الشكل والروح.

إن التصوف الحقيقي هو بذل الجهد لفهم الإسلام من حيث الباطن إضافة إلى ظاهره، وتطبيقه على أرض الواقع. وهذا يتطلب إدراك الإسلام وفهمه ضمن كلية "الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة". ونعبر عن ذلك بمثال نموذجي:

- ففي الشريعة الأكل بعد الشبع إسراف.
- وفي الطريقة الأكل حتى الشبع إسراف.
- وفي الحقيقة الأكل بمقدار الكفاية بغفلة عن الله إسراف.
- وفي المعرفة بالإضافة إلى كل ما تقدم، فإن الأكل دون التفكر بالقدرة الإلهية وتجليات أسمائه في النعم إسراف. إذ إن كل كائن مخلوق بمثابة دليل على عظمة وقدرة الخالق اللامتناهية.

كان حضرة الشاه نقشبند الذي يعد أحد كبار الأولياء يقوم بنفسه في كثير من الأحيان بأعمال طهي الطعام وإعداد المائدة. وكان على الدوام يوصي تلامذته بالتيقظ قلبياً أثناء إعداد الطعام وتناوله ، وعدم الوقوع في الغفلة ولو للحظة واحدة. وكان عندما يتناول الطعام مع مريديه ويرى أحدهم يتناول لقمة بغفلة ينبهه في الحال بأسلوب لين ولطيف، فلم يكن قلبه ليرضى بتناول الطعام بغفلة عن الله ولو كانت لقمة واحدة.

إن تناول الطعام ليس عبادة من حيث الظاهر. إلا أن كل لقمة يتم تناولها مع ذكر الله تصبح وسيلة للفيض والخشوع في العبادات. وأما اللقيمات التي يتم تناولها بغفلة عن الله تعالى فتكسب القلب القسوة، والغفلة، والتثاقل.

إن هذه الحساسيات الإسلامية التي بيناها من خلال مثال "الطعام" هي بمثابة عينة، حيث يمكن من خلال تطبيقها على كافة التصرفات والسلوكيات البشرية التي يمكن أن تخطر على البال ابتداء من

حياة العبادة، إلى الحياة العائلية، وعلاقات الجوار، والأنشطة والأعمال التجارية والاقتصادية وغيرها الوصول إلى "العمق التصوفي" بالمعنى الحقيقي.

ما هو التصوف؟

التصوف؛ هو فن معرفة الحق ﷻ قلبياً.

التصوف؛ هو الاسم الآخر لحمل الإيمان إلى أفق سام مثل "الإحسان". أي أن يعيش الإنسان وهو مدرك أنه تحت مراقبة الكاميرات الإلهية بشكل دائم، وبعبارة أخرى أن نعيش وكأننا نرى الله، فإن لم نكن نراه فهو يرانا.

التصوف؛ نظام تطهري. وطريق الوصول إلى "التقوى" بتجنب كل ما شأنه إبعاد المرء عن الله تعالى. وتربية معنوية تكبح جماح الأهواء والشهوات النفسية، وتكشف الطاقات والاستعدادات الروحية.

التصوف؛ مدرسة معنوية يتم فيها تزكية النفس، وتصفية القلب على مربين حقيقيين من العلماء الأجلاء الذين صاروا ورثة النبي عليه الصلاة والسلام.

التصوف؛ صراع دائم مع النفس لا هوادة ولا صلح فيه.

التصوف؛ هو معرفة البقاء في حالة تصالح دائم مع الله من خلال إبداء الرضا بالتقدير الإلهي في كل الأحوال والتقلبات. المحافظة على توازن القلب أمام كافة تقلبات وأحوال الحياة بمدها وجزرها، وحلوها ومرها. عدم الفرح والبطر عند الغنى، والتذمر والشكوى عند الفقر. حالة نضوج ورشد يعلم فيها الإنسان أن كل ما يقع عليه من مصائب وشدائد امتحان إلهي، ويتمكن من جعلها وسيلة للتزكية. مهارة التحول إلى "عبد صالح" مثابر على الشكر والحمد ناسي الشكوى والتذمر.

التصوف؛ هو مسؤولية تقع على عاتق المؤمنين الذين استطاعوا البلوغ بأنفسهم إلى مرتبة الكمال المادي والمعنوي، تقتضي توجههم إلى المخلوقات بقلب فياض بالإيثار، وتلبية احتياجاتها. هو الوصول إلى حالة الطبيعة الأصلية التي تقتضي الشفقة بالمخلوقات في سبيل الخالق، والرحمة بها، ومحبتها، وخدمتها.

التصوف؛ هو التمسك بالكتاب والسنة، وإدراك وفهم التعاليم الإلهية والنبوي بتعمق قلبي، وتحويلها إلى ساحة التطبيق في الحياة.

والحاصل؛ إن التصوف: هو معرفة رسول الله بالعشق عن قرب، وبذل الجهد للالتزام بدينه بشكل منسجم ومتوافق مع جوهره وروحه من خلال الاغتراف من معين طبائعه، وشخصيته، وأخلاقه السامية.

وإن كل منهج آخر مخالف لهذه المبادئ والأسس، ولا يأخذ القرآن والسنة معياراً له فهو – وإن نسب إلى التصوف – باطل.

ما ليس تصوفاً!

عندما يتم إهمال الجانب الباطني والروحي للدين، الجانب التصوفي الذي يُعد عمق المعرفة والتقوى فإنه يبقى منظومة من القواعد والمبادئ الجافة. وإلى جانب ذلك فإن نظر بعض الأوساط التي تلجأ وخاصة في يومنا هذا إلى استعراضات معينة بدعوى وصولها إلى النشوة التصوفية ، نظرها إلى الدين على أنه عبارة عن أحكام باطنية، ومن ثم الاستخفاف بالشريعة التي يمكن أن نسميها بأحكام الدين الظاهرية دليل واضح على بعدها عن حقيقة التصوف. فإن مثل هؤلاء الذين يحملون المفهوم المتمثل بقولهم "يكفي قليل من العمل طالما أن القلب نظيف!"، والذي يفتح الباب واسعاً أمام الرعونات النفسانية، إن مثل هؤلاء لا علاقة لهم بالتصوف الحقيقي الذي يُعد خادم الشريعة لا من قريب ولا من بعيد.

فمثلاً يقوم اليوم بعض الناس ممن ابتعدوا عن روح المثنوي الشريف بتحويل السماع الذي يُعد ذكراً بالأساس إلى نوع من مهرجان فلكلوري شعبي، وإلى مجلس موسيقى مهملين بذلك جانب التقوى للمولوية.

وكذلك نشاهد لدى بعض الطرق أنشطة تجارية تمارسها في البدء بنية حسنة وتبدو أنها صحيحة وعلى الحق. ولكن ما يلبث أن يبتعد الغالبية عن حساسية التقوى وتتحول الطريقة إلى كيان منكب على المصالح والمنافع المادية. وهذا الأمر ما هو إلا شكل بارز من أشكال جعل الدين أداة لخدمة الدينا. وهو تحويل للطريقة التي هي باب العدمية والفناء إلى عجلة المنفعة التي تتحرك بهاجس الوجود والكثرة والوفرة.

ويلاحظ في بعض الطرق الأخرى أنها أهملت جانب الحلال والحرام ففتحت الباب واسعاً أمام اختلاط الرجال والنساء مبررين ذلك بعبارات فارغة مثل "قلبي نظيف!"، وتساهلت في الحجاب، وابتعدت عن الكثير من المعايير والمبادئ الشرعية الأخرى. وكأنه عندما يكون القلب نظيفاً لا تبقى حاجة لرعاية حدود الحلال والحرام، فتميل إلى رأي باطل يطلق العنان لرعونات النفس وأهوائها.

وبذلك يتم تجاهل المسألة الآتية :وهي أنه بالرغم من أن النبي ﷺ الذي يُعد أعظم مرشد لنا في كل أمر كان صاحب أنظف وأطهر قلب، فإنه كان يُعد أفضل قدوة ومثل للأمة في العبادات، والمعاملات، والأخلاق، وبالأخص في رعاية الحلال والحرام الذي يُعتبر أكبر مشكلة في عصرنا هذا.

التصوف الحقيقي الذي يُعد جوهر أهل السنة والجماعة فهو سعي لتكامل الظاهر والباطل من خلال مبادئ وأسس حياة النبي ﷺ. فكما أن رسول الله ﷺ بالرغم من بلوغه ذروة الرشد والكمال والنضوج المعنوي قد أدى واجبات العبودية الظاهرية بحرص وعناية شديدة حتى النفس الأخير، فإن كل مؤمن كذلك مكلف باتخاذه قدوة، والقيام بواجباته الشرعية على أكمل وجه مهما كان موقعه، أو مكانته، أو منصبه، ومن أي طريقة كان أو مذهب.

بينما التصوف الحقيقي الذي يُعد جوهر أهل السنة والجماعة فهو سعي لتكامل الظاهر والباطل من خلال مبادئ وأسس حياة النبي عليه الصلاة والسلام. فكما أن رسول الله ﷺ بالرغم من بلوغه ذروة الرشد والكمال والنضوج المعنوي قد أدى واجبات العبودية الظاهرية بحرص وعناية شديدة حتى النفس الأخير، فإن كل مؤمن كذلك مكلف باتخاذه قدوة، والقيام بواجباته الشرعية على أكمل وجه مهما كان موقعه، أو مكانته، أو منصبه، ومن أي طريقة كان أو مذهب.

وإن هذه الحادثة المروية عن الشيخ عبد القادر الجيلاني توضح هذا الأمر بشكل جميل، حيث يقول:

كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور، فقال لي: – يا عبد القادر؛ أنا ربك! وقد حللت لك ما حرمت على غيرك.

إلا أنني ما إن انتهى الصوت حتى علمت أنه الشيطان اللعين، فقلت له:– أنت الله الذي لا إله إلا هو ؟، اخسأ يا عدو الله. فإن النور الذي أريتني إياه ظلمات أبدية. فتمزق ذلك النور وصار ظلمة، وقال: – يا عبد القادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك. لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً. ثم ابتعد. فرفعت يدي إلى السماء وشكرت الله تعالى على لطفه بي. فقال له واحد من جماعته: – كيف علمت أنه الشيطان؟ فقال : – بقوله لي "حللت لك ما حرمت على غيرك " وقد علمت أن شريعة محمد ﷺ لا تنسخ ولا تبدل!..

وفي الحقيقة لو أن العبد يُعفى من حدود الحلال والحرام لحسن أحواله وأعماله الصالحة لأعفي قبل كل الناس سيدنا النبي ﷺ الذي بلغ الذروة في الصلاح والعبودية للحق سبحانه وتعالى. وطالما أنه لم يُعط مثل هذه الميزة، فلا تحق لأحد غيره أبداً.

وبناء على ذلك؛ فمهما صدرت عبارات صوفية من فم من لم ينظم حياته وفق معايير ومبادئ القرآن والسنة فلا يمكن أن يكون ذاك الإنسان من أهل التصوف بالمعنى الحقيقي.

فمثلاً لا يُنتظر من المؤمن الذي يتهرب من تنظيم مسألة الميراث وفق الأوامر الإلهية لكونها لا تناسب مصالحه ومنافعه الدنيوية أن يقطع أدنى مسافة على طريق السير والسلوك. وكذلك لا يمكن الحديث عن الحياة الصوفية بالنسبة لإنسان لا يراعي المعايير والأسس الإسلامية في حياته الأسرية. فلا يمكن أن يحصل انكشاف معنوي للأم أو الأب الذي ينكب على التفكير بمستقبل أولاده الفاني، فيحرمهم من تعلم القرآن، ويعرض مستقبلهم الأبدي للخطر والتهلكة. وإن الظن بأن مثل هذا الأب أو الأم من أهل التصوف ما هو إلا دليل على الغفلة.

ومن أعظم الظلم الذي يرتكبه العبد بحق نفسه، وأكبر تحطيم لمعنوياته وروحانياته هو التعدي على حقوق العباد في الحياة التجارية، وانتهاك محاذير الله تعالى ابتغاء تحقيق منفعة دنيوية، والتهاون في أمور دينه بتبريره بعبارات مثل: "سأفعل ذلك هذه المرة، ولن أعود إليه ثانية". وفي هذا الخصوص ينبغي أن نتذكر دائماً المعايير التي وضعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله:

"لا تنظروا إلى صلاة أحد، ولا إلى صيامه، ولكن انظروا إلى: من إذا حدَّث صدق، وإذا اؤتُمن أدى، وإذا أشْفى ورِع – راعى الحلال والحرام – " (البيهقي، السنن الكبرى، ٦، ١٨٨؛ الشعب، ٤، ٢٣٠، ٣٢٦)

والحاصل؛ إن لم يكن الإنسان ملتزماً ومراعياً لمعايير الشريعة في عباداته، ومعاملاته، وأخلاقه، ونظام حياته، فإنه من العبث انتظار الترقي التصوفي منه.

وينبغي أن نعلم بأن الشريعة التي يمكن أن نسميها بأحكام الإسلام الظاهرية بمثابة الهيكل العظمي الذي يمكن الجسد من الوقوف والانتصاب. فلا يمكن للجسد الذي لا هيكل عظمي فيه والمفتقر إلى العمود

الفقري الوقوف على القدمين. إلا أن الحياة الدينية التي تكون عبارة عن الهيكل العظمي فحسب – كما يريد البعض إظهار الدين به عن قصد – هي الأخرى تؤدي إلى ظهور مفهوم إسلامي موحش، ومخيف، ومتطرف، ومنفر وخال من الروح.

وبناء على ذلك؛ فإن التصوف الحقيقي هو عبارة عن إدراك وفهم الإسلام ضمن إطار فيض وروحانية رسول الله ﷺ، والصحابة الكرام، والسلف الصالح، والمؤمنين من أهل التقوى، وبذل الجهد للعيش في الحياة مثلهم واتباع آثارهم بعشق وشوق كبير.

الاستقامة أعظم كرامة

إن التصوف قبل كل شيء سعي إلى تنظيم الحياة وفق القرآن والسنة. يقول الحق ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٣)

وقال النبي ﷺ في خطبة الوداع:

" أَلَا إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ ، فَلَا تَقْتُلُنَّ بَعْدِي" (ابن ماجة، الفتن، ٥/ ٣٩٤٤)

وقال عليه الصلاة والسلام:

" تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" (الموطأ، القدر، ٣)

والتصوف بدوره عبارة عن التمسك بهاتين الأمانتين المقدستين، ورعايتهما بما يليق بهما. إنه منهج تعليمي وتربوي يعلم الإنسان كيفية القيام بالأعمال القلبية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية مثل (الإخلاص، والتقوى، والخشوع، والتوبة، والرضا)؛ وكيفية القضاء على الأمراض النفسانية مثل (الرياء، والعجب، والكبر، والحسد، والبغضاء). وليس طريقة تعليمية وتدريبية للوصول إلى الكشف والكمال من خلال القيام بجملة من التمرينات مثل الرياضة والمجاهدة.

وبطبيعة الحال فإن الوصول إلى الكشف والكرامات ليس مقياساً للارتقاء المعنوي والروحي. إذ يُعد أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل وخير الناس بعد الأنبياء والرسل في الرياضة ومجاهدة النفس، ومع ذلك ليست هناك روايات ومعلومات كثيرة حول كراماته المادية والظاهرية. فأعظم كرامة له هي إخلاصه وتصديقه الذي لا مثيل له لرسول الله، وطاعته وتسليمه الفريد له.

ولهذا فإن أهل الله وأولياؤه لم يولوا أهمية للكرامات المادية المحسوسة، حتى أنهم كانوا يحرصون حرصاً شديداً على التكتم على مثل هذه الكرامات وعدم إفشائها إن حدثت، خشية تسرب الغرور وحب الشهرة إلى قلوبهم. وكانت كل جهودهم ومساعيهم تنصب على الاستقامة من خلال الالتزام التام بكتاب الله وسنة رسول الله والسير على نهجهما، إذ هي الكرامة الحقيقية.

وقد قال الجنيد البغدادي: "إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء فاعرضوا حاله على الكتاب والسنة فإن لم توافقهما فهو استدراج (وليس بكرامة)".

التصوف؛ حفظ من الغفلة بالذكر

يريدنا الله تعالى أن نذكره بكثرة وبكل الوسائل، فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)

ويريد لنا أن نكون على صلة قلبية به بشكل دائم، فيقول:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ...﴾ (آل عمران: ١٩١)

إذاً؛ إن واجب ذكر الله المترتب على عاتقنا نحن كمؤمنين ليس عبارة عن إقام الصلاة فحسب. وإنما ينبغي أن يستمر إحساس المعية مع الله في الصلاة بعد انتهاء الصلاة أيضاً. إذ إن الله ﷻ الذي لا ينسى عباده ولو طرفة عين، يريد من عباده أن يذكروه بشكل دائم أيضاً. فالغفلة عن ذكر الله تعالى ولو للحظة واحدة سبب لتهلكة عظيمة، ولذلك كان النبي ﷺ يقول في التجائه وتضرعه:

"اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين"

(الجامع الصغير، ١، ٥٨)

إذ إن القلب يُبتلى بالغفلة بقدر نسيانه الله تعالى. ولهذا قال النبي ﷺ:

"إنه ليُغانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة". (مسلم، الذكر، ٤١؛ أبو داود، الوتر، ٢٦)

وهذا يدل على أنه ليست الذنوب والمعاصي وحدها تستوجب الاستغفار، وإنما تستوجبه اللحظات التي تمر والإنسان غافل فيها عن الله أيضاً. وذلك لأنه عندما تدق المعايير في القلب الذي بلغ آفاق ومراتب معرفة الله وتصبح أكثر حساسية، يتم اعتبار حتى النفس الذي يتنفسه الإنسان بغفلة عن الله تعالى ذنباً ومعصية. حيث قال رسول الله ﷺ:

" ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله، إلا كان عليهم ترة (ذنب)، وما من رجل مشى طريقاً فلم يذكر الله، إلا كان عليه ترة، وما من رجل أوى إلى فراشه فلم يذكر الله، إلا كان عليه ترة " (أحمد، ٢، ٤٣٢)

قال رسول الله ﷺ:
" ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله، إلا كان عليهم ترة (ذنب)،
وما من رجل مشى طريقاً فلم يذكر الله، إلا كان عليه ترة،
وما من رجل أوى إلى فراشه فلم يذكر الله، إلا كان عليه ترة ".
(أحمد، ٢، ٤٣٢)

وإن الحالة المذكورة في الآية ١٩١ من سورة آل عمران ﴿يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ فيها إشارة إلى هذا الذي ذكرناه. وبطبيعة الحال فإن الإنسان يكون في الغالب بإحدى هذه الحالات. إذاً؛ فربما سبحانه وتعالى يريد منا أن نكون بحالة ذكر دائم. إلا أنه في معرض بيانه لشرط قبول هذا الذكر الدائم يقول في الآية ذاتها:

﴿... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾

(آل عمران: ١٩١)

أي أنه يريد منا ذكراً نتعمق فيه بالتفكير والتأمل بتجليات القدرة والعظمة الإلهية، مدركين عجزنا وضعفنا المطلق، وبقلب خاشع وجل من الحيرة والدهشة والخشية. حيث يقول ربنا عز وجل في آية أخرى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾

(الأنفال: ٢)

إذاً؛ إن الذكر الذي يكون عبارة عن تكرار اللفظ باللسان، ولا يتجاوز الفم ليصل إلى القلب، ومن ثم لا يكون وسيلة لحدوث حالة من الوجل والخشية القلبية ليس ذكراً حقيقياً، ولا يرتقي إلى مستوى الذكر المقبول. فالمقصود من الذكر هو تنبه القلب للمذكور، وتحقيق المعية والحضور القلبي مع الله تعالى.

ولهذا فإن الترقي في التصوف ليس مرتبطاً بالتقدم بالدروس المعنوية والأوراد خلال فترات زمنية معينة فقط، وإنما مرتبط أيضاً بالتقدم والسمو في الأخلاق والأحاسيس القلبية، وبزيادة تجليات الأسماء الإلهية في ذلك القلب.

يجب على الإنسان الذي يتقدم ويرتقي في الدروس المعنوية أن يزيد أيضاً من لين جانبه، ورقة قلبه، ورحمته، وخدمته، وجهده، وتضحيته؛ وأن يكون أكثر تسامحاً وعفواً، وتفاهماً، وتحملاً، وتقبلاً؛ وأن يقوي صبره ورضاه. يجب أن يكون ذا روح رقيقة ومتحلية بالإيثار بحيث يحب لأخيه ما يحبه لنفسه. فلا يتحقق الارتقاء المعنوي إلا بهذا الذي ذكرناه.

وإن حياة التصوف هي أن يحيا الإنسان بحالة معية دائمة مع الله تعالى ضمن هالة من فيض وروحانية الذكر. وإن اكتساب المؤمن لهذا الإحساس والإدراك يضمن له في الوقت ذاته كشف أسرار الامتحانات الإلهية التي يتعرض لها. فمثلاً يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:

"المحرمات نار. ولا يمد يده إليها إلا ميت القلب. فلو أن قلب من مد يده إليها كان حياً، لأحس بألم تلك النار".

إذاً؛ فلأن المؤمن الذي قلبه حي بذكر الله محفوظ من الغفلة، فإنه:

• لا يمد يده إلى المحرمات، وحتى إلى الشبهات.

• ويحفظ روحه من كل الشرور والأحوال والمواطن التي من شأنها الحط من قيمته المعنوية والروحية.

• لا يسعى خلف المغامرات التي لا طائل منها؛ ولا يخوض في الأمور العبثية، والباطلة، والفاسدة؛ ولا ينخدع بأشكال الحب التي تقودها الأهواء المتقلبة.

• لا يفني عمره بالسعي خلف رعونات النفس؛ ولا يلطخ سجله بالسخافات والرذائل من الأعمال.

• وإنما يزين عمره بالأعمال الصالحة والحسنات.

• ويتخذ القرآن والسنة مرشداً وهادياً.

• يؤدي عباداته بخشوع تام، ويزيد من المساعي والخدمات التي تكون في سبيل الله، ويتجه لمجالس الصالحين.

• وأخيراً يحيا عمره كشاهد لربه على الأرض فيخلف وراءه صدى طيباً في السماء، وذكريات تفيض بالفضائل والصالحات.

وبالمقابل؛ فإن القلب الخمول والجلف الذي أصابته الغفلة لبعده عن الذكر معرض للسقوط في مستنقع مختلف أشكال الذنوب والمعاصي. لأن الغفلة مصدر للذنوب، فهي خير أرضية تنبت فيها المعاصي والخطايا. فعندما تتشكل تلك الأرضية يبدأ اقتراف الذنوب بسهولة دون الشعور بثقل وعبء المعنويات وتأثيرها.

ومن هنا فإن القضاء على الغفلة بالذكر يُعد درع التقوى الأسلم والأفضل أمام الذنوب والمعاصي، أي أنه وسيلة حفظ ووقاية معنوية. لأنه ليس هناك إنسان يستطيع خداع أخيه وهو يتلفظ ب "البسملة: يسمي بالله". فالقلب الذاكر لله لا يمكن أن يخدش قلباً ولو بشوكة.

ولهذا فإن التصوف هو أن يحيا الإنسان بالفيض الروحي للذكر، وأن يكون بمقام الإحسان، أي أن يعيش وكأنه يرى الله فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، أي أن يشعر في كل لحظة من لحظات حياته أنه تحت كاميرات المراقبة الإلهية.

أسأل المولى ﷻ أن يرزقنا جميعاً إيماناً بمقام الإحسان. وأن ينير قلوبنا بنور ذكر الله، ومعرفة الله، ومحبة الله. آمين!..

اللعنة على القاتل

علي رضا تمل

إن أسوأ صفة ينعت بها الإنسان صفة "القاتل". فالإنسان إذا صار أمام خيارين إما قاتل أو مقتول فيختار أن يكون مقتولاً وإن كان هناك حالة دفاع مشروع.

وإن صفة القاتل هي صفة قابيل الولد الأول لآدم عليه السلام، وأما صفة المقتول فهي صفة ولده الآخر هابيل. فالمؤمن الحق لا يأبى أن يكون بموقع القاتل. لما قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ فقال رسول الله ﷺ: كن كابني آدم (هابيل). (أبو داوود، السنن، ٤٢٥٧)

وسأل هذا السؤال محمد بن مسلمة أيضاً، فقال له النبي ﷺ:

"ألقِ كُمَّك على وجهك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل". (فخر الرازي، التفسير، ٢/ ١٦٣)

لا يُعد هذا الموقف تركاً للدفاع عن النفس تجاه القاتل، وإنما يُعد ابتعاداً عن صفة القاتل لأقصى درجة مع اتخاذ مختلف التدابير الممكنة. فهذه المسألة مسألة اختيارية. فمثلاً اختار عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا التصرف، حيث فضل الاستشهاد على موت كثير من الناس. وأوصى النبي ﷺ بمثل هذا التصرف، ولكنه لم يأمر به. فهذا التصرف تصرف المتقين، وهو موقف هابيل الذي كان من أهل التقوى.

قال قابيل الذي لم يُتقبل قربانه لأخيه هابيل كما ينقله لنا القرآن الكريم:

﴿لَأَقْتُلَنَّكَ! (قَالَ: هابيل):

إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧- ٢٨)

لقد تعرض قابيل القاتل بسبب جريمة القتل هذه للعنة حتى يوم القيامة. حيث يقول النبي ﷺ بهذا الخصوص:

"لا تُقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول (قابيل) كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل". (البخاري، الجنائز، ٣٣؛ مسلم، القسامة، ٢٧) وكما يتبين من هذا الحديث الشريف أيضاً فإن من يسن سنة حسنة

أو سيئة ينال نصيباً من ثواب أو إثم السائرين عليها والعاملين بها أيضاً.

إن أهم وأعظم آثار الله تعالى وأعلاها شأناً هو الإنسان الذي يُعد خليفته على الأرض. فكل شيءٍ يكتسب معنى وقيمة بالإنسان. وكل إنسان نسخة وحيدة. وحتى وإن كان صغيراً من حيث البنية المادية فإنه يحمل في داخله عالماً عظيماً وواسعاً. والإنسان الواحد بحكم الناس جميعاً. ولهذا فإن قتل إنسان واحد يُعد بمثابة قتل الناس جميعاً. وبين الله تعالى هذه الحقيقة في القرآن الكريم بقوله:

﴿أَنَّه مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)

ويبين النبي عليه الصلاة والسلام العاقبة الوخيمة لقتل النفس بغير حق، فيقول:

"لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار". (الترمذي، الديات، ٨)

وقال رسول الله ﷺ في حديث آخر:

"والذي نفسي بيده، لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا". (النسائي، التحريم، ١)

إن القتل محرم في جميع الأديان، ويُعد من أعظم وأكبر الذنوب. فحق الحياة من حقوق الإنسان الأساسية التي لا يُقبل التهاون بشأنه والتفريط فيه. حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٣٣)

بالرغم من وضوح هذه الأحكام التي لا تشوبها أدنى شائبة، ولا تحتمل أقل تأويل فإنها لا تراعى في العالم اليوم. فتطور الأسلحة القاتلة والفتاكة وخاصة في عصرنا الذي نعيش فيه جلب معه القتل والدمار والإبادات الجماعية، وحول العصر إلى "عصر الجريمة". فالجهود والمساعي والأموال التي تصرف على القتل في عالمنا الذي يُزعم بأنه عالم الحضارة والمدنية، لا تنفق على الحياة والإحياء. فلو أُنفق واحد بالعشرة مما ينفق في مجال التسلح على الصحة وللحد من الفقر الذي يجتاح العالم لاستطاع كل إنسان فيه تأسيس حياة ملؤها الصحة والغنى. ففي الأوساط التي تسيطر عليها الرأسمالية المتوحشة، والمادية الجانحة يُسحق الضعفاء، ولا يُلقى بالاً وسمعاً لصرخات المظلومين. ولا يأبه الإنسان المتوحش في سبيل التقلب في حياة تسودها الرفاهية والإسراف بقهر الآخرين وتعاستهم، وربما كان آكلو لحوم البشر الذين انقرضوا كانوا يأكلون لحوم الإنسان مباشرة، في حين أن آكلي لحوم البشر المعاصرين يأكلون لحوم الناس ويمتصون دمائهم بطريقة غير مباشرة، من خلال تجارة الأسلحة، والاستعمار والاحتلال.

إن السبب الذي دفعنا إلى كتابة هذا المقال هو من جهة مشاهد الجرائم والإبادات الجماعية الجارية في العالم الإسلامي، والمسلمون الذين يمعنون في تصفية وقتل بعضهم البعض بوحشية بالغة وكأنه في سبيل الله؛ ومن جهة أخرى المحتلون الذين يمطرون بلاد المسلمين بوابل الموت والدمار دون أدنى اعتبار لشاب أو طفل، أو امرأة، أو شيخ، أو مريض؛ ومشهد الصمت والتجاهل الذي يسود العالم تجاه كل هذه الأحداث التي تندى لها جبين كل صاحب ضمير وكرامة وشرف ومتصف بالعدالة والإنصاف، إلا أنه ما من ضمير يتحرك وكأنه ما من شيء يحدث.

ما كان ذنب أولئك الأطفال الأبرياء الممددين على الأرض والممزقة أجسادهم إلى أشلاء بالقنابل والصواريخ المتساقطة فجأة عليهم وهم يلعبون ويمرحون، ويبنون أحلامهم المستقبلية بمخيلة

الطفولة؟ وما الفرق بين الأعراب الذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء تحت التراب في العصر الجاهلي، وبين الحضارة والمدنية المزعومة اليوم التي تنثر أشلاء الأطفال على وجه الأرض بالقنابل والصواريخ؟

إن أبسط شرط للإنسانية هو أن لا يتمنى المرء لغيره ما لا يتمناه لنفسه. فكل إنسان يحمل بين جنباته روحاً، ويتألم، ويحزن. وكل أبناء آدم مثل أعضاء الجسد الواحد، وإن الذي لا يشعر بآلام ومعاناة غيره ليس بإنسان. إذ إن الحيوان الذي يقتل من بني جنسه أو غيره لا يشعر بالألم والندم، والكلب الذي يعض إنساناً لا يحس بألم الطرف الآخر. فالذين لا يتمتعون بالإحساس بالألم والندامة أدنى مرتبة حتى من الحيوانات. لأنه لم تُعط الخصائص الإنسانية للحيوانات.

إن المدفون تحت البيوت المهدمة هو قيم الإنسان والإنسانية قبل الأطفال الصغار الممزقة أجسادهم بالقنابل. كيف وبأي شيءٍ يمكن إيقاف القوى الظالمة التي لا تعترف بالمبادئ والأخلاق؟

وأي مسألة ومشكلة يمكن حلها بالخطابات المنمقة والمعسولة التي لا يقابلها فعل؟

وما فائدة الأمم المتحدة؟

وهل مجلس الأمن مكلف بضمان أمن وسلامة القتلة، أم المقتولين والمظلومين؟

يجب كما قال محمد إقبال إعادة تنظيم العالم وإعطائه شكلاً جديداً.

إذ ما الذي يُنتظر من لصوص الأكفان؟

ورد في البيان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الأمم المتحدة: لكل فرد الحق في الحياة، والحرية، والأمان على شخصه. (المادة ٣). لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الإحاطة بالكرامة. (المادة ٥). لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً. (المادة ١٧/ ٢).

حسنٌ؛ ولكن من الذي سيحمي المظلومين الذين يتعرضون لأشد أنواع التعذيب والإضطهاد، ويحمي أموالهم وأملاكهم المغتصبة والمسلوبة؟

ومن الذي سيأخذ بأيدي المظلومين والمضطهدين الذي أكرهوا على ترك ديارهم ومساكنهم خشية الموت والظلم؟ ومن الذي سيوقف الظلمة الذين في سبيل إطالة أمد حكمهم وملكهم أياماً يقتلون مواطنيهم، ويهدمون بيتهم فوق رؤوسهم، ويوجهون الأسلحة التي اشتروها بالضرائب المحصلة من شعوبهم إلى صدورهم، من الذي سيوقف هؤلاء عند حدهم؟

ليس هناك أدنى شك أن الله الرحمن الرحيم سوف ينتقم في الآخرة للمظلومين من الطغاة والظالمين، وسوف تتجلى هناك العدالة الإلهية المطلقة. ولكن إذا لم نرفع نحن المكلفون بإقامة العدالة في هذه الدنيا أصواتنا بوجه الظالمين لإيقافهم عند حدهم، ولم نسعى ونجاهد في سبيل ذلك ألا نكون شركاء في هذه الجرائم؟

وهل إطلاق عبارات اللعنة بالأقوال فقط بحق الظالمين والقتلة دون استخدام الإمكانات والقدرات المادية للتدخل الفعلي، هل ينقذ المظلومين من الموت والظلم؟

كل يوم حياة جديدة

الأستاذ: محمد دينج

إن كل يوم جديد نبدأه يُعد حياة جديدة.

تشرق الشمس دون أي كلل أو ملل وتأتي من جديد باليوم هدية لعيوننا الناعسة النائمة. وما علينا إلا النهوض من الفراش بفرح وبهجة، وفتح النوافذ لاستنشاق نفس عميق ينعش رئتينا، والتجمل بابتسامة عريضة على وجوهنا تعبيراً عن مشاعر الشكر للشمس على تلك الهدية الجميلة. أو تغطية رؤوسنا باللحاف وجعل نهارنا ليلاً من جديد، أو عند الضرورة بدء اليوم بعيون ذابلة عاجزة عن الفتح بشكل تام لاعتيادها على الظلام.

وكذا يبقى علينا إما التحول إلى شمس البيت والعمل على إيقاظ أفراده بلطف كما أيقظتنا الشمس، ومخاطبتهم بكلمات رقيقة تملؤها البهجة والمرح والسرور حتى تكون أيامهم فرحاً وسروراً. أو التجول كالنائم الوحيد بين أفراد البيت المستيقظين منذ مدة، والعجز عن التكلم مع أحد بكلمة طيبة واحدة لشدة النعاس.

والخروج من البيت على هذه الشاكلة إما بإلقاء التحيات والسلام المعبّق برائحة الأزهار والرياحين والإصغاء إلى ألحان وأناشيد وتغريدات البلابل والطيور، ومن ثم إشاعة النور بين الناس من خلال التبسم في وجه الغادي والرائح بفرح وبهجة لا تنضب والتي زودتنا بها حيوية وطاقة الحياة التي تسري في عروقنا. أو كسر الخواطر والقلوب بكل خطوة نخطوها وذلك من خلال فقدان الرغبة منذ خروجنا من البيت بتثاقل مطأطئي الرأس من غير التفات إلى ما يحيط بنا من الكائنات، ودون إلقاء التحية على من نعرفهم وكأننا لا نراهم.

إذاً يتوجب علينا إما تزيين أقوالنا وتصرفاتنا وحركاتنا في مكان العمل أو المدرسة التي نصل إليها بنشوة وبهجة وانشراح، بالرقة واللطافة والدماثة، ومن ثم زرع الابتسامة على وجوه رفاقنا وأصحابنا. أو نبدأ يومنا نفكر في نهاية الدوام، والإكثار من

التأفف والتذمر، وإساءة فهم حتى أحسن العبارات نتيجة لحالة الاضطراب التي يخلقها هذا التذمر، ومن ثم تنفير الناس منا بنظراتنا، وكلماتنا، وتصرفاتنا الخاطئة المبنية على إساءة الفهم تلك.

يبقى علينا إما إنهاء يومنا بأجواءٍ يسودها مزيدٌ من المرح والروحانية من خلال تجاذب أطراف الحديث والسّمر مع أفراد العائلة في المساء ومشاركتهم ما ادخرناه لهم من كلمات وعبارات جميلة، ورواية ما مر معنا خلال النهار من أحداث ملفتة وحكايات طريفة، والاستماع إلى ما لديهم. أو اعتبار كل لحظة من لحظات اليوم ضِيقاً وشدة وتعباً، والنظر إلى كل حادثة أو واقعة نواجهها على أنها طبيعية وعادية، وكل كلمة وعبارة نسمعها باهتة وفارغة، ومن ثم العودة إلى البيت عند المساء بجعبة فارغة، واختلاق أمور وقصص كاذبة حتى نتجنب الصمت وتبادل نظرات فارغة مع أفراد العائلة.

يبقى علينا إما أن نصل عندما ننهي اليوم بقلب منشرح، وذهن صاف، ووجه متبسم إلى حالة نخلط فيها بين الأحداث التي مرت معنا في النهار وبين ما نراه في النوم ولا ندري أيهما كان حلماً هذا أم ذلك. أو أن نسهر عندما نضيع اليوم في أمور فارغة ولكننا ندرك ذلك متأخرين، نسهر إلى منتصف الليل ونحن نبحث عبثاً عن حلول غير معقولة بهدف الحصول على أمنية وسعادة أخيرة، وننام لنستيقظ على غد مشابه لذاك اليوم بالرغم من أنه لم يكن سعيداً بشكل من الأشكال.

إن كل يوم نبدأه يُعد حياة جديدة. ويبقى علينا إما استثمار كل لحظة من لحظات تلك الحياة، وتحويلها إلى حلم مختلف، وجديد، وجميل؛ أو إضاعتها، وجعلها كابوساً متكرراً ومرعباً جاثماً على صدورنا، وكأنه تعذيب لنا.

افتح قلبك للإخاء

يتم في سورة الحجرات بيان مكانة المؤمنين تجاه بعضهم والرابطة القائمة بينهم بعبارة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ثم يأتي بعدها الإرشاد الآتي: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله﴾ (الحجرات: ١٠) ويقول الحق ﷻ في سورة آل عمران الآية ١٠٣: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا...﴾

مبيناً أن النجاة من نار الفتنة في الدنيا، والخلاص من العذاب في الآخرة لا يمكن إلا في جوٍّ تسوده الأخوة.

يعلمنا النبي ﷺ كيفية بناء "مجتمع الأخوة" المبين ضرورته وأهميته بالآيات القرآنية، وكيفية إحيائه وإدامته من خلال جملةٍ من التعليمات والمواد: يعلمنا أن لا يظلم الأخ أخاه، ويؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة وحاجة، وأن ينصر الأخ أخاه ظالماً كان أو مظلوماً ولا يتركه دون مؤازرةٍ وعون، وأن لا يسمح بالتحدث عنه في غيبته.

لو أننا أعدنا النظر في الوصايا النبوية الواردة في هذا الموضوع فقط وتوقفنا عليها من جديد، لأمكننا الوصول إلى تآلف ودفء قلبي يحيط بالعالم الإسلامي كله، وربما ـ عدا أعداء الله ـ بالبشرية جمعاء. فيمكننا الإبحار إلى محيط رحمة يتمثل بحب المخلوق والرأفة به في سبيل الخالق. وعلينا أن نعلم أن إحساس الأخوة قد غدا الشريان المغذي لعاطفة الأمة. فلنحمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تفيض بالأخوة الدينية إلى ساحة البحث والتطبيق من جديد، ولننمي ونطور الميادين التي تخدم الاتحاد والتعاون وليس تلك التي تزيد الفرقة والانقسام والاختلاف. فحيثما كان الألم والمعاناة فثمّ تقصير في نقل فضائل الإسلام إلى ساحة التطبيق.

اتق دعوة المظلـــــــوم

إسماعيل لطفي جاكان

إننا كمسلمين نعاني ونتألم كثيراً نحن والعالم الإسلامي بسبب الأحداث التي تمر علينا يومياً تقريباً. وعلى الرغم من وصول هذه الحالة في العالم الإسلامي وخاصة خلال السنوات الأخيرة إلى مستويات غير قابلة للاحتمال، فإن مما لا يخفى على أحد أن بعض المؤسسات الدولية التي تدعي القيام بأعمال ومهمات إنسانية إما تفضل الالتزام بالصمت المطبق والمريع أو تقف علناً بجانب الظالمين.

فمشاهد الظلم التي تحرق القلوب والمعروضة في الفضائيات والمنتشرة على مختلف وسائل التواصل الاجتماعي لا تدع في كثير من الأحيان مجالاً للكلام. حيث انتشر الاعتقاد بانتهاء جدوى الكلام ونال أحقية بين الناس. وباختصار، وبمعنى عام فإن فصول الشقاء والمعاناة لا تنتهي بالنسبة للمسلمين بشكل من الأشكال، ولا يكاد يمر يوم دون أن تكون في مقدمة أحداثه.

لقد أصلح الله سبحانه وتعالى الأحداث في الأوقات الحرجة والصعبة عن طريق الأنبياء والرسل، ودفع الناس على الدوام نحو آفاق جديدة.

ويمكن تجاوز الشدائد والمحن السائدة في عصرنا والتغلب عليها بالطريقة ذاتها أيضاً. وبما أنه لا نبي بعد نبينا عليه الصلاة والسلام فإن نقل هديه إلى ساحة البحث من خلال إرشاداته وعظاته التي تتجاوز العصور يتمتع بأهمية كبيرة من ناحية تقييم محتوياته تقييماً صحيحاً على الأقل. وإذا كان هذا هو الحاجة الأولية ل "رسالة الأمة" فيجب القيام به.

ووفق ما هو معلوم فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان خلال إرشاد الإنسانية والأمة يلجأ إلى أسلوب الترغيب والترهيب. ومع أن الأمر كان على هذا النحو بشكل عام، فإنه في بعض الأحيان يتقدم الترهيب حسب الحالة.

وانطلاقاً من هذه الفكرة فإننا نهدف – إن شاء الله – إلى أن نشارككم باقة من الأحاديث النبوية التي تحتوي على تحذيرات "اتق/ اتقوا" مِن نبينا عليه الصلاة والسلام وذلك تحت عنوان عام "عظات من الرسول الخاتم".

وقد اخترنا وصية وتحذير "اتق دعوة المظلوم" الموجه إلى كل الظالمين ومؤيديهم ومساندهم، ومحبي الظلم ظاهراً وباطناً ليكون الموضوع الأول لهذا العمل باعتباره قولاً مهماً.

إن الرواية التي تشكل جوهر الأحاديث الشريفة العائدة للموضوع هي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام بعث معاذاً والياً إلى اليمن فقال له في نهاية التعليمات التي زوده بها:

"يا معاذ، اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب". (البخاري، المظالم، ٩؛ مسلم، الإيمان ٢٩)

إن ورود هذا التحذير في كل الروايات المتعلقة بهذا الحديث الشريف وذلك بعد تنبيه وتوصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله والياً إلى منطقة تسمى جند باليمن في العام التاسع للهجرة، وخاصة بشأن عدم تحصيل الزكاة من كرائم أموالهم وإنما من متوسطها لأمرٌ ملفت للانتباه لدرجة كبيرة. حيث يظهر من هذا التحذير أن إساءة استعمال سلطة الدولة في أي ميدان كان تحمل صفة الظلم.

وعلاوة على ذلك فإن توصية النبي عليه الصلاة والسلام بقوله "اتق دعوة المظلوم" تأتي في أساسها بمعنى "اتق الظلم". إذ أن دعوة المظلوم نتيجة لأي اضطهاد وظلم وإجحاف يتعرض له. فالدعوة التي تأتي دون التعرض لظلم لا تُعطى حكم "دعوة المظلوم".

إن الظلم والضيم الذي يتحدث عنه الحديث المذكور ذو طابع مالي. وإن قول النبي عليه الصلاة والسلام "مطل الغني ظلم" في المجال ذاته يُعد تهديداً وبياناً هاماً وخطيراً للغاية في العلاقات الاقتصادية.

يتبين مما تقدم أن دعوة المظلوم ليس بينهما وبين الله حجاب مهما كان المجال الذي تعرض فيه للظلم والاضطهاد.

وعلى ذلك فإن التحذير لا يحصر بمثل هذه الحالة، وإنما يركز على مسألة الابتعاد عن الظلم.

ويبين النبي عليه الصلاة والسلام في حديث آخر أن للأمر بعداً أخروياً، حيث يقول:

"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة". (مسلم، البر، ٥٦)

إن التعرض في الآخرة للظلمات التي يكون سببها الظلم في الدنيا إضافة إلى الرعب والهلع الخاص بيوم القيامة والمحشر، ليس في الأساس بالأمر الذي يرغب به أي إنسان عاقل. وإن اتقاء هذا الأمر وتجنبه يكون بالابتعاد في الحياة الدنيا عن كافة أشكال الظلم.

أبعاد الظلم الثلاثة

لقد تم تقسيم الظلم كتصنيف عام للتعاليم والمعلومات الإسلامية التي تتحدث عن المسألة إلى ثلاثة أقسام:

١. الظلم بين الإنسان والله ﷻ: وهو الشرك، والكفر، والنفاق، والعصيان.

٢. الظلم بين الناس: وهو الاضطهاد والضيم، والقتل، والافتراء وغيرها من الخطايا والاعتداءات.

٣. الظلم بين الإنسان ونفسه: وهو ظلم الإنسان لنفسه من خلال الامتناع عن القيام بواجباتها وتكاليفه تجاه الله تعالى، وظلم الناس.

إن كل ذنب ومعصية هي ظلم إما للنفس أو للغير. وإن الظلم الذي يبدو في الظاهر واقعاً على الغير هو بالأساس واقع من حيث النتيجة على مرتكبه. إذ أنه هو الذي سيحاسب عليه، وهو الذي سيتحمل جزاءه وعقابه.

الظلم نتاج الضعف

إن من يظلم بالأصل هم الضعفاء. أحياناً يزداد الظلم وينتشر ويشتد لدرجة لا يتصور العقل زواله. ولكنه يزول وينتهي فجأة في وقت غير متوقع أبداً، ولسبب لا يخطر في العقل. فأين هو ظلم الجاهلية الذي يشير المرحوم عاكف إلى زواله بولادة النبي عليه الصلاة والسلام فيقول:

(ها قد وأد الظلم الذي لم يكن يتوقع العقل زواله).

فلن تبق أشكال الظلم المختلفة التي تمارسها القوى المسيطرة والمهيمنة دون شفقة في عالمنا المعاصر وخاصة بحق المجتمعات المسلمة، لن تبق دون حساب أبداً. إذ ليس بين دعوات المظلومين الذين يتعرضون لهذا الظلم وبين الله حجاب. فأنّاتهم وآهاتهم تصل إلى الله مباشرة. وإن الله عز وجل يمهل الظالمين ولكنه لا يهملهم أبداً. وقد عُبر عن هذه الحقيقة بعبارة جميلة:

(لا صدى لصفعة الحق. وإذا صفع فلا دواء لصفعته).

أبعاد الظلم الثلاثة

١. الظلم بين الإنسان والله: وهو الشرك، والكفر، والنفاق، والعصيان.

٢. الظلم بين الناس: وهو الاضطهاد والضيم، والقتل، والافتراء وغيرها من الخطايا والاعتداءات.

٣. الظلم بين الإنسان ونفسه: وهو ظلم الإنسان لنفسه من خلال الامتناع عن القيام بواجباتها وتكاليفه تجاه الله تعالى، وظلم الناس.

قال الحق سبحانه وتعالى في حديث قدسي:

"يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا". (مسلم، البر، ٥٥)

ويقول في آية قرآنية كريمة:

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ١٨)

وهذا معناه أن الله عز وجل سوف يبعد الظالمين عن رحمته. وإن البعد عن رحمته أشد عقاب وأعظم حرمان.

وجاء في حديث نبوي كقاعدة عامة: "فإن دعوة المظلوم مستجابة". (البخاري، الجهاد، ١٨٠)

وبناء على ذلك فقد انتشر المثل الآتي بين شعبنا:

(لا تعرض نفسك لدعوة المظلوم فإنها تخرج بحشرجة شديدة).

وعلينا أن لا ننسى أيضاً أن "دعوة المظلوم" واحدة من المسائل التي استعاذ منها نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام.

توجد روايتان أخريتان توضحان هذا الذي اعتبرناه قاعدة عامة وتشيران إلى أن ظلم "المظلوم" كافٍ لتحقق ما يطلبه. أي فيهما تأكيد على أنه لا فرق بين ما إن كان المظلوم عاصياً، أو مؤمناً أو غير مؤمن:

"دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه".

"اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب".

يُعد الظلم بالأصل جريمة إنسانية. فلا يحل الظلم على أي إنسان كان. حيث جاء في الحديث النبوي:

"فإن الظلم لا يحل على أحد ولو كان كافراً".
(الموطأ، ٣، ٢٦١)

ثلاث دعوات مستجابة

ومن جانب آخر، فقد تم تصنيف الدعوات من حيث القبول إلى ثلاثة أصناف بشكل عام:

"ثلاث دعوات يُستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده". (ابن ماجه، الدعاء، ١١)

وإن الدعوات على الغير التي تكون من غير هذه المجموعات الثلاثة من شأنها أن تؤذي صاحبها أكثر من المقصودين بها. فمن الثابت أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا على مشركي مكة الذين تسببوا في غزوة الخندق بتأخير المسلمين لصلاة العصر عن وقتها وأدائها قضاءً، فقال:

"ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس".(البخاري، الجهاد، ٩٨، المغازي، ٢٩، تفسير سور ٢، ٤٢؛ مسلم، المساجد، ٢٠٢- ٢٠٦)

ومما هو معلوم أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا بعد معركة أحد على المشركين وذكر زعماء قريش بأسمائهم في دعائه مثل صفوان بن أمية، وسهيل بن عامر، وحارث بن هشام؛ وكذلك ظل النبي عليه الصلاة والسلام لمدة شهر يقنت في صلاة الفجر ويلعن فيه قبائل رعل، وذكوان، وعصية الذين غدروا بالدعاة الذين أرسلهم لدعوتهم إلى الإسلام وقتلوهم عند بئر معونة، ويدعو عليهم.

فأنزل الله تبارك وتعالى الآية القرآنية:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾

(آل عمران: ١٢٨)

(أي بمعنى: ليس لك من الحكم شيء في عبادي، إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي، فإن شئتُ فعلتُ، أو أعذبهم بذنوبهم "فإنهم ظالمون" قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي).

وأنهى هذا الفعل، وبلغ الله تعالى هنا أن العفو والعقاب أمر خاص بذاته العلية، وأنه لا أحد يملك الحق بطلب المعاقبة من خلال الدعاء حتى وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام، وبيّن أنه ليس في التصرفات والأفعال العائدة إلى ذاته أيّ جانب متعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام.

يجب الانتباه إلى هذه النقطة باهتمام وعناية بالغة. فهذا يعني أن قيام بعض المسلمين بالدعاء على الآخرين بشكل علني وبعبارات عظيمة أو عادية، وإظهار أنفسهم بمظهر المظلوم حالةٌ غير قابلة للنقاش وحتى لا يمكن القبول بها من ناحية "دعوة المظلوم".

وعندما يحدث ذلك فإنه من الطبيعي أن تكون هناك احتمالية لظهور أمورٍ لم يتوقعوها. وذلك لأن التحذير الوارد في الحديث الذي ذكرناه متعلق بالاتقاء من دعوة المظلوم الحقيقي.

نسأل الله عز وجل أن يحفظ المسلمين جميعاً من الظلم، ومن الإقدام على الظلم.

الصحابي "المهاجر والأنصاري"

ذكوان بن عبد قيس رضي الله عنه

مصطفى أريش

يُعد ذكوان بن عبد قيس رضي الله عنه أحد الأبطال الأوائل الذين التقوا برسول الله عليه الصلاة والسلام في العقبة، واستناروا بنور الإسلام!.. وهو أحد الصحابة المدنيين الذين قدموا إلى مكة في الأيام الأولى للإسلام ودخلوا الإسلام!.. فهو السعيد الذي نال لقب المهاجري والأنصاري معاً!..

وُلد ذكوان بن عبد قيس رضي الله عنه وتربى وكبر في المدينة. ويُنسب إلى بني عامر بن زريق من قبيلة الخزرج. وهذه قصة تشرفه بالإسلام:

اختلف ذكوان بن عبد قيس مع أسعد بن زرارة أحد وجهاء المدينة في مسألة. فاتفقا على الذهاب إلى مكة وعرض المسألة على عتبة بن ربيعة ليفصل فيها.

ولما وصلا إلى مكة وحضرا عند عتبة بن ربيعة أوصاهما قبل سماع المسألة فقال:

"خرج فينا رجل يُدعى محمد. فادعى أنه نبي يوحى إليه وأوقع فيما بيننا. ويريد أن يخرجنا من دين آبائنا، وينكر علينا أصنامنا. فلا تجلسوا إليه، ولا تسمعوا قوله. فإن كلامه كالسحر. فإياكم واللقاء به والتحدث معه".

وكان ذكوان وأسعد قد سمعا بظهور آخر الأديان وخاتم الأنبياء. فكانا في حالة فضول وبحث حول هذه المسألة. فلم يأبها لوصية عتبة، وأخذا يسألان عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ويبحثان عنه سراً، حتى استدلا عليه، وحضرا إليه. فتلا النبي عليه الصلاة والسلام شيئاً من القرآن عليهما. وجلس معهما وتحدث إليهما، وبين لهما الإسلام. وعرض عليها الدخول فيه.

تأثر ذكوان بن عبد قيس وأسعد بن زرارة كثيراً بحديث سيدنا محمد وشمس العالمين عليه الصلاة والسلام، وطرأ تغير كبير في قلبيهما. حيث امتلأ قلباهما بسكينة وطمأنينة كبيرة، ودخل نور الإسلام إليهما فنطقا بالشهادة دون أدنى تردد وتشرفا بشر ف الإسلام. وعادا إلى المدينة مسلمَين. (ابن سعد، ١، ٢١٨)

بدأ بطلا المدينة وفارساها الشجاعان بقبيلتهما وأخذا يبينان لها الإسلام. عملا على تعريف أهل القبيلة بنبي آخر الأديان. فأعدا الأرضية المناسبة لذهاب الكثير من الناس إلى مكة واللقاء بالنبي عليه الصلاة والسلام.

كان ذكوان بن عبد قيس رضي الله عنه من بين وفد أهل المدينة المؤلف من ستة أشخاص الذي اجتمعوا بالنبي عليه الصلاة والسلام في العقبة عام ٦٢٠. وحضر أيضاً بيعتي العقبة التي حدثت عامي ٦٢١ و ٦٢٢.

يُعد ذكوان رضي الله عنه أحد الفرسان الأبطال الذين أعدوا المدينة للهجرة. ولما جاء أوائل المهاجرين إلى المدينة في بدايات الهجرة أدرك الثواب العظيم للهجرة، ولكي لا يُحرم من هذا الثواب ذهب إلى مكة وسكن فيها. فأقام فيها مدة بصحبة سيدنا شمس العالمين عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم. ومن ثم انضم إلى إحدى مجموعات المهاجرين وهاجر معهم إلى المدينة. وهكذا فقد عُد من الأنصار ومن المهاجرين معاً. ومنذ ذلك الوقت صار يُذكر بين الصحابة بـِ "المهاجري والأنصاري" معاً. (ابن حجر، ٢، ٣٣٨)

وأساساً كان يُعد أنصارياً ومهاجرياً كلّ من حضر بيعة العقبة وذلك حسب الرواية الآتية:

فقد روي عن ابن عباس أنه قال: "إن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا من المهاجرين لأنهم هجروا المشركين (من مكة إلى المدينة)، وكان من الأنصار مهاجرون لأن المدينة كانت دار شرك، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ (من المدينة إلى مكة) ليلة العقبة". (النسائي، السنن، ج ٧، ص، ١٤٤- ١٤٥؛ محمد عاصم غوكسال، تاريخ الإسلام، ٢/ ٢٨٨)

إن أول عمل قام به النبي عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة هو تنظيم عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وكان من الذين آخى بينهم في هذا العقد ذكوان رضي الله عنه مع مصعب بن عمير رضي الله عنه. فوضع ذكوان رضي الله عنه كل ما لديه من أموال وإمكانات مادية في خدمة إخوانه المهاجري. وعمل على مساعدتهم وتقديم العون لهم بتضحية وفداء. حتى أنه باع بعض أملاكه لإخوانه المهاجرين بثمن بخس.

فقد ابتاع منه سعد بن وقاص رضي الله عنه "بئر السقيا" بجملين. وكان هذا البئر أحد آبار المدينة المشهورة بمائها العذب والطيب.(الموسوعة الإسلامية، ج ٤٤، ص، ٢٢٢؛ ابن شبة، ١، ١٥٨- ١٥٩)

وذكوان بن عبد قيس رضي الله عنه أحد الفرسان الأبطال الذين اشتركوا في غزوة بدر وأحد. ووقف رضي الله في الليل حارساً على خيمة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وذلك في "وادي أصيل" خلال المعركة، وفي وادي الشيخين في معركة أحد. وينقل لنا الأستاذ محمد عاصم غوكسال خدمته الفياضة بالمحبة لرسول الله عليه الصلاة والسلام في كتابه "تاريخ الإسلام ":

"لما دخل جيش المسلمين أحداً عسكرَ رسول الله ﷺ في الشيخين وأمضى ليلته هناك. وصلى النبي عليه الصلاة والسلام بالصحابة في هذا المكان صلوات العصر، والمغرب، والعشاء. واستعمل رسول الله ﷺ على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً، يطوفون بالعسكر حتى أدلج رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ولما فرغ النبي عليه الصلاة والسلام من صلاة العشاء التفت إلى أصحابه، وقال:

من يحفظنا الليلة؟

فقام رجل في الظلام وقال:

أنا يا رسول الله!.

فقال رسول الله ﷺ: من أنت؟

قال: ذكوان بن عبد قيس.

فقال عليه الصلاة والسلام: اجلس.

ثم قال رسول الله ﷺ:

من رجل يحفظنا هذه الليلة؟

فقام رجل فقال:

أنا يا رسول الله.

فقال ﷺ: من أنت؟

قال: أنا أبو سبع.

فقال عليه الصلاة والسلام: اجلس.

ثم قال رسول الله ﷺ مرة ثالثة:

من رجل يحفظنا هذه الليلة؟

فقام رجل فقال:

أنا يا رسول الله.

فقال ﷺ: ومن أنت؟

قال: ابن عبد قيس. فقال عليه الصلاة والسلام: اجلس.

ومكث رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: قوموا ثلاثتكم.

فقام ذكوان بن عبد قيس وحده وأتى إلى رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ: أين صاحباك؟

فقال ذكوان:يا رسول الله! أنا الذي كنت أجبتك الليلة. فاسمي أبو سبع ذكوان بن عبد قيس .

فتبسم رسول الله ﷺ وقال معبراً عن تقديره لهذا السلوك المليء بالمحبة:

اذهب فاحفظنا، حفظك الله!

فلبس ذكوان بن عبد قيس درعه وأخذ درقته، وأخذ يطوف بالعسكر ويحرسه تلك الليلة. (الواقدي، المغازي، ج ١، ص، ٢١٦- ٢١٧)

ويروى أن النبي عليه الصلاة والسلام بشر ذكوان رضي الله عنه تقديراً له على هذه الخدمة والمحبة والفراسة، فقال:

"من أحبّ أن ينظر إلى رجل يطأ بقدمه غداً خضرة الجنّة فلينظر إلى هذا ـ يقصد ذكوان بن عبد قيس رضي الله عنه ـ". (ابن حجر، الإصابة، ج١، ص، ٤٨٢؛ محمد عاصم غوكسال، تاريخ الإسلام، ٤/ ١٢٩- ١٣٠)

ولما سمع ذكوان هذه الكلمات علم أنه مستشهد، فسارع رضي الله عنه إلى داره. فالتقى بامرأته وأبنائه، واستحللهم، وودعهم ثم عاد إلى عمله. وبقي يحرس في المكان الذي أمره به نبينا عليه الصلاة والسلام حتى الصباح. وفي اليوم التالي نزل إلى ساحة المعركة وقاتل المشركين ببطولة وبسالة منقطعة النظير حتى نال الشهادة رضي الله عنه.

ولما انسحب رسول الله ﷺ إلى سفح جبل أحد ذلك اليوم أخذ يتفقد أصحابه، فسأل عن ذكوان بن عبد قيس رضي الله عنه. فتحدث سيدنا علي رضي الله عنه عن البسالة التي قدمها ذكوان رضي الله عنه على أرض المعركة في قتال المشركين، وأخبره باستشهاده على يد المشرك أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، وأنه قام بدوره بقتل ابن الأخنس. (الواقدي، ١، ٢٨٣)

فرضي الله عنه وأرضاه. ونسأل الله تعالى أن يرزقنا نصيباً من مشاعر محبة ذكوان بن عبد قيس وتسليمه، وفراسته، وتبليغه. ويجعلنا ممن ينالون شفاعته.

آمين.

الأسوة الحسنة

يقول الله تعالى عن النبي عليه الصلاة والسلام في كتابه الكريم في سورة القلم:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

إن سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام وشخصيته المباركة بكل مظاهرها التي يتسطيع العقل البشري استيعابها تشكل مرتبة القمة في منظومة السلوكيات والتصرفات البشرية. وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الكائن المبارك أسوة حسنة للإنسانية جمعاء. ولذلك فإن الله تعالى قد بدأ بإعداده منذ مرحلة الطفولة اليتيمة التي تُعد أدنى مراحل العجز والضعف، ثم مرورًا بجميع مراحل الحياة وأطوارها إلى أن وصل به إلى أعلى نقطة فيها من حيث القوة والقدرة، إذ رفعه إلى مرتبة النبوة ورئاسة الدولة التي تُعد أعلى مناصب ومواقع البشر. وذلك حتى يتمكن الناس في أي موقع أو طور من أطوار الحياة البشرية كانوا، أن يتمكنوا من اتخاذ هذه التصرفات والأفعال الكاملة نموذجًا ومثلًا أعلى لهم، ثم يعملوا على اتباعها أو تنفيذها بقدر استطاعتهم. وإن هذا الاقتداء يتحقق بقدر المحبة والارتباط اللذين يشعر بهما الإنسان تجاه الرسول عليه الصلاة والسلام.

إن الرسول عليه الصلاة والسلام قدوة في القيادة الدينية، وقدوة في رئاسة الدولة، وقدوة لمن دخلوا في رابطة المحبة الإلهية، وكذلك قدوة في التواضع والشكر على النعم الكثيرة التي يتلطف بها الله تعالى على المرء.

والنبي عليه الصلاة والسلام نموذج وقدوة في الصبر وتسليم الأمر لله تعالى في الظروف والمواقف الصعبة والحرجة. وهو قدوة في الجود والكرم، وعفة النفس عند المغانم، وقدوة كذلك في الشفقة والرحمة التي يتمتع بها تجاه أهل بيته. وقدوة في الإشفاق والرحمة بالضعفاء، والمشردين، والرقيق. وقدوة في العفو والصفح عن العصاة والمجرمين.

قال الله تعالى:
{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا}
الأحزاب: ٢١

فيا أيها الإنسان! إن كنت غنيًا وصاحب ثروة؛ ففكر بتواضع وكرم ذلك النبي رفيع الشأن الذي حكم سائر شبه الجزيرة العربية، واستمال إليه كافة الأطياف والقبائل العربية بالمحبة!

وإن كنت واحدًا من الضعفاء؛ فتذكر حياة النبي ﷺ التي عاشها في مكة تحت سلطة وإدارة المشركين الظالمين، والمغتصبين لسائرالحقوق! واتخذها قدوة.

وإن كنت فاتحًا منتصرًا؛ فخذ عبرة من حياة نبي الجرأة والشجاعة الذي اختطف النصر من أعدائه في بدر وحنين!

فيا أيها الإنسان! إن كنت غنيًا وصاحب ثروة؛ ففكر بتواضع وكرم ذلك النبي رفيع الشأن الذي حكم سائر شبه الجزيرة العربية، واستمال إليه كافة الأطياف والقبائل العربية بالمحبة!

فيا أيها الإنسان! مهما كانت ظروفك، وصفتك، وأحوالك فليكن محمد المصطفى ﷺ مرشدك الكامل، ومثلك الأعلى في سائر أعمالك وأوقاتك وأحوالك...

هذا نسعى ونبحث

علي بويوك جابار

يجب علينا نسج زخارف الإيمان على بساط الزمان. وإن هذا الأمر الذي يجب استمراره بالعمل الصالح وليس بمجرد القول هو حقيقة الحياة الدنيا. فلا تُفتح أبواب الأسرار إلا بذلك.

وإن هذه الوظيفة التي تبدأ بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسوله عليه الصلاة والسلام تستمر بتعلم ما ورد في القرآن الكريم من القيم المتنوعة من عبادات، وأخلاق، وتشريعات، واقتصاد، وجمال. ولا شك أن الإنسان عندما يدخل إلى حدود دائرة الإيمان فإنه سوف يبتعد عن الظنون والأوهام، ويصل إلى مرحلة السكينة والسلام الروحي.

يجب أن يكون الحب متجهاً إلى الله تعالى.

فإذا لم تُختمر الصداقة والصحبة برضا الله فإنها تكون قصيرة الأجل. ولا يمكن أن ينفع الإنسان الذي لا يتمتع بالحكمة نفسه. ومن الخطأ الفادح انتظار الصداقة والوفاء من إنسان لا يحس بطرب ونشوة إلهية في كيانه.

وينبغي أن نقوم بالواجبات والأعمال الإنسانية تجاه أنفسنا، وأن نجتاز اختبار الإخلاص قبل كل شيء. وأن نكون من المؤمنين الذين ترتجف قلوبهم عند ذكر الله تعالى.

يجري الحديث وبشكل متكرر ومكثف عن تحول الحياة إلى كابوس وفوضى عارمة. فيوصف عصرنا الذي نعيش فيه بالتعقيد بأشكال وصور مختلفة، وتُذكر الأزمات والمعضلات وكأنها حقيقة الحياة. أما بالنسبة للمسلم فخطوط الحياة اليومية معروفة وبينة. حيث أن مفاهيم الفرض، والواجب، والسنة، والمستحب، والمباح تنير لنا طريقنا، بينما مفاهيم الحرام، والمكروه، والمفسد تعرفنا على الشرور والخبائث.

علينا أن نتجنب السقوط كضحايا في مكائد الشيطان.

فمن يقول إنه من السهل انتقال المعلومة إلى عالم الحكمة، وبلوغ القلوب حالة الكمال بالعشق؟

إذ إن هناك عبادات أساسية مثل الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج. والمسلم مُمتحن في كل الأوقات

وخلال مراحل الزمن المختلفة. وهذه الحياة التي لا مكان للغفلة فيها هي لمرة واحدة ولا تكرار لها. فهل يعي معظم الناس الذين يقولون "الدنيا الكاذبة "، ما يقولون؟ ينبغي أن لا يضيع الحق الذي يتجلى في كل إنسان، وأن لا تذهب الجهود والمساعي هباء وسدى.

ومن الجلي أننا بحاجة إلى معلومات تاريخية أصيلة. إذ يجب أن نتذكر دائماً أن الحياة الدينية كانت تسير جنباً إلى جنب مع حقيقة الزمن.

فعلينا أن نخرج في رحلة بحث عبر التاريخ ابتداء من اليوم الذي نعيشه، وننظر بعين الاعتبار إلى الأحداث والوقائع. لنكتشف الحقائق الاجتماعية المختلفة، ونركز على مسألة الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها التدين القابل للتطبيق والحياة.

أين روح الزمن؟

إن رضا الله تعالى منتشر وموزع على كل ذرة من ذرات الحياة، فعلى الإنسان أن يكون مثل نحلة العسل يتجول على كل الأزهار ويصنع العسل، ويملأ شهد الحياة بالأعمال الصالحة.

وإن الخوف والرجاء يقضيان على رتابة الحياة ونسقيتها ونمطيتها، ويحمينا ويخلصنا من الهواجس والمنغصات السخيفة والجوفاء. يجب أن نمر على الذكر التفصيلي لنعيم الجنة وعذاب جهنم. وإنما ينبغي أخذ العبر والعظة والدروس منها، والتحلي دائماً بحسن الظن، والابتعاد عن الظن السيء.

والخلاصة؛ علينا أن نعبر عن الحقيقة بالقول:

"نحن مظهر العشق منذ الأزل ولا يد لنا في إيجاد شيء.

والآلام كلها منا فليس لنا إسناد أساسي".

نوم الوردة

إنك لم تمت يا سيدي، إنما تنام نوم الوردة
ولا يسمع دعائي لربي إلا أنت
إنك تنام كما تنام الورود
أنت الذي أسمعت صوت الإسلام للعالم من أقصاه إلى أقصاه
إن الورود تقف بجانب رأسك وكأنها تحرسك
حتى إن الأزهار الأخرى لتغبط هذه الورود
ليتني كنت وردة لأقف عند شاهد رأسك
أو أني كنت ماء الورد لأعطر كف يديك
كلما تحدثت صمتت الورود محدقة بك
كلما تحدثت يقطر شراب الورد من شفتيك
كلما هب النسيم يفوح من مكة عطرك
وكلما تذكرتك يقترب مني الشوق إليك
وإذا قيل استيقظت الورود تتراقص البلابل معك
إنك النبي النائم نوم الورود، وتحترق الورود شوقاً إليك
إنك لم تمت يا سيدي، إنما تنام نوم الورود
ليُسمع ربي إلى العالم أجمع صدى اسمك

علي رضا كاشكجي

الجوهر

دورمُش كوج

يمتلك كل فرد بنية مختلفة ومتميزة روحياً، وفكرياً، وعاطفياً، ومادياً. وكذلك يختلف كل فرد عن غيره ببصمات الأصابع، وبشكل الوجه والجسد، ونبرة الصوت، وبالفهم والإدراك، والمعلومات، والمهارات والمواهب والطاقات.

يمكننا أن نلاحظ أن الإنسان يزداد يوماً بعد يوم وحدة، وعزلة عن المجتمع، وعجزاً في العثور على ما يصبو إليه ويبحث عنه، ولا يجد من يبث إليه أحاسيسه ومشاعره وهمومه، وإن وجد فليس هناك صدق وإخلاص. وهناك الكثير من العوامل السلبية التي تتسبب بهذه المشكلات والظواهر مثل: التطور التكنولوجي، والمخاوف والهواجس الاقتصادية، والفساد والانحطاط الثقافي، والطموحات والتطلعات القائمة على المنفعة والمصلحة الضيقة، والمحتويات المرعبة التي تقدمها وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي وغيرها.

وإن وضع العاجزين عن إدراك حالة فقدان الجوهر التي يعانون منها أشد فداحة وخطورة وسوء. حيث إن الذين يفقدون يومياً هذه الأحكام القيمة يدخلون إلى نفق عاطفي متصف بالنفعية، والأنانية، واللامبالاة والخمول، والانطواء، والانعزال، والبلادة.

ويوجد في بنية كل إنسان صفات ملازمة وحتمية لا حياد عنها، وهي "المزاج" الذي يُعد ردة فعل الشخص السلوكية الخاصة به وذات مصدر فطري وطبيعي يحملها معه منذ الولادة؛ و"الطبع" الذي يُكتسب بعد المزاج، إلا أنه يعكس خصائص سلوكية مقاومة للتغيير بشدة؛ و"الشخصية" وتتكون من الجانب الشخصي / الفردي، والعقلي، والنفسي.

إن الطبع/ الطبيعة والشخصية الفاسدة والمنحلة تنحدر بالفرد في عصرنا هذا إلى الهاوية سواء بعلم أو بغير علم. وعندما يدمر الناس ودون وعي وإدراك ذواتهم الخاصة في مكان وزمان وبشكل غير منتظر، فإنهم يتسببون أيضاً بإحداث جروح نازفة غير قابلة للالتئام والشفاء، وذلك سواء كان على المستوي الفردي، أو الأسري، أو المجتمعي. ولذلك يجب أن لا يُنسى أبداً أن أفكار الفرد وتصرفاته وسلوكياته جزء لا يتجزأ من جوهره.

إن الحياة: هي أن يدرك المرء معيشته ، وأن يعلم: لماذا، وكيف، ولأي سبب يحيا ويشعر بذلك.

يمكن للإنسان أن يعرف ويطلع على الكثير من الأمور، ولكن يجب عليه معرفة حده بشكل دائم. ومعرفته لحده تعني معرفة نفسه، وعجزه، وضعفه، وخالقه وموجده. وهذا الأمر يضمن فتح الطريق المتجه إلى الشخصية والجوهر.

ويجب عدم تقليد حياة الآخرين بحذافيرها وبعجرها وبجرها، والتحول إلى ما يشبه الممثل والمقلد لحركات غيره. وإنما اقتبس من الآخرين أمثلة ونماذجاً وتجارياً، واجعلها أكثر فائدة ونفعاً بتمريرها في غربال العقل، ومصفاة الوجدان. إن الموسيقى، والألعاب، وأشكال اللهو والمتعة والتسلية التي لا طائل منها ولا فائدة لها لا تعود بالفائدة على جوهرالإنسان. وإنما الذي يجعل للإنسان قيمة وأهمية، ويكسبه الشرف والرفعة هو الإيمان، والإنصاف، والإحسان، واللين والرأفة. فينبغي الحذر كل الحذر من الأمور التي تخرج الإنسان من ذاته الإنسانية بدعوى الحرية.

كن مخالفاً وهامشياً في سبيل الصدق والاستقامة، والخير، والجمال (واعياً بالنقاط الثلاثة) ولكن لا تكن محركاً وفاعلاً في ميدان السوء والقبائح والشرور.

ومن لا يكون واعياً بمعيشته، لا يكون واعياً بالحياة. ومن لا يكون واعياً بالحياة لا يكون واعياً بذاته. ومن لا يكون واعياً بذاته لا يكون واعياً بأفعاله. ومن لا يكون واعياً بأفعاله لا يكون واعياً بإنسانيته. لأن الإنسان يقدس ما أوقف حياته له أي يؤلهه. فالذين أوقفوا حياتهم لله، فإلههم الله. والذين أقفوا حياتهم لغير الله فإلههم غير الله. فإذا كنا لا نبيع جوهرة لا قيمة حقيقية لها بثمن قليل فكيف يمكننا بيع جوهرنا بثمن بخس في سبيل لا شيء؟

ولهذا قالوا:

"من يملك النقود لا يخشى السوق، ومن يملك العبادة والعبودية لا يخشى القبر".

إذا تم التصرف دون خلط الحابل بالنابل، ودون تلطيخ المقدسات فإن الجوهر بدوره يصبح ناصعاً براقاً. فالإنسان الذي يمتلك ذاتاً سليمة يرى إسعاد الآخرين، والأخذ بيد الضعفاء، وبث روح الأمل في البائسين والقانطين، وتفريج كربات المكروبين بمثابة دَين مرتب على عاتقه.

ومن لا يكون واعياً بمعيشته، لا يكون واعياً بالحياة. ومن لا يكون واعياً بالحياة لا يكون واعياً بذاته. ومن لا يكون واعياً بذاته لا يكون واعياً بأفعاله. ومن لا يكون واعياً بأفعاله لا يكون واعياً بإنسانيته. لأن الإنسان يقدس ما أوقف حياته له أي يؤلهه. فالذين أوقفوا حياتهم لله، فإلههم الله. والذين أقفوا حياتهم لغير الله فإلههم غير الله. فإذا كنا لا نبيع جوهرة لا قيمة حقيقية لها بثمن قليل فكيف يمكننا بيع جوهرنا بثمن بخس في سبيل لا شيء؟

فالخروج من بحر البؤس والشقاء إلى شاطئ السعادة والاستراحة فيه والتعرض لأشعة الشمس لا يكون إلا كذلك.

وإن الذي يسقط في فخ النفس وأهوائها يرى الدنيا مظلمة معتمة. ولهذا يجب التحلي بالتيقظ والفطنة في هذه الحياة وبشكل دائم. لأنه ليس في الحياة شيء يقبل الفراغ. فيجب التفكير بكل شيء بتمعن وبشكل جيد. فالتفكير السليم يفتح باب الوعي الجيد والسليم.

وإذا كافحت وعملت لأجل الآخرين تصبح موجَّهاً ومنقاداً. وإذا كافحت من أجل نفسك تصبح أنانياً. وأما إذا جاهدت وعملت لأجل الله تعلى فتصبح عادلاً وصاحب فضيلة. فالذي لم يمر من باب المحبة، والشفقة، والرحمة، والعدالة، والإخاء، والصداقة، والإنسانية يقف عند نافذة الظلم مزهواً بنفسه.

وإن رائحة التراب مختلفة، ورائحة الزهور مختلفة، ورائحة الجوري مختلفة عن كل ما تقدم كلياً. فالإنسان الذي لا يعرف ما الأخوة والصداقة لا يمكن أن يشتم رائحة الإنسانية الحقيقية. ويجب أن نتذكر دائماً أن

كل امرئ يعاين ويعيش ما يراه من أحداث في منامه بنفسه. فالذي يعاني من زلزلة الآلام في قلبه، يشعر بها هو. إذ من أين لمن وضع على القلوب والضمائر حراساً وحفظة أن يعلم بهذه الآلام؟ وكيف سيشعر بها؟ فالعميان لا يرون نظرات الأبرياء والمظلومين أبداً. والذين قست قلوبهم، وتحجرت ضمائرهم لن يعلموا بهذا أبداً. فالإنسان الذي تتلوى وترتجف روحه وبدنه لا يمكن أن يترك أثراً، ولا يُصدر صوتاً. ولهذا اعمل على زيادة المحبة، والاحترام ولا تنقصها أبداً. إن اعتذرت ألف مرة فاصبر مرة. وإذا كسرت قلباً مرة فاعتذر ألف مرة. إذ إن من السهل الكتابة والتحدث عن الآلام والأوجاع، إلا أن التعرض لها ومعايشتها صعبة وشديدة وقاسية. ولهذا فإن الإنسان العاقل هو من يُحسن استعمال عقله بأقصى ما أوتي من طاقة. والإنسان العاقل وحسن التدبير هو من يستخدم عقول الآخرين أيضاً. وأما الإنسان غير العاقل فهو من يسيء استعمال عقله. والإنسان المفرط في البعد عن العقلانية هو من يدع غيره يستخدم عقله.

إن الآلة المتعطلة لا تسير بالضرب والطرق والتكسير. وإنما تعمل وتسير بالترميم والإصلاح. والإنسان ذو الطباع السيئة لا يُصلح بالتوبيخ والتشنيع به والإساءة إليه، وإنما يُصلح ويُقوم بالأخذ بيده وإرشاده بالحسنى، وبالكلمة الطيبة. ولنعلم جيداً أن الأهواء والرغبات والشهوات السيئة بالنسبة لجوهرنا أخطر من القنابل المتفجرة.

لا تنتظر بطلاً وفارساً شجاعاً ذا قلب عطوف ورحيم، وإنما كن أنت أحد هؤلاء أولاً. ومواجهة الحياة تكون باكتشاف أنفسنا. فالإنسان المكتشف لنفسه يصبح دائماً صاحب تفكير وإرادة حسنة. حيث يجرح نفسه ليتجنب جرح الآخرين، وحينها يكون قد امتلك الجوهر الحقيقي. فالذات الضالة أسوأ من البيت الخرب. إلا أنه مع ذلك "يجب أن نحب الحياة حتى ولو أصابنا التعب والإرهاق من العيش".

لا ريب أن الحياة مدرسة صعبة، والعمل شهادة، والذات الخاصة فاتورة الحياة كلها، والموت وثيقة ترخيص الحياة.

إن الحياة حلوة وممتعة دائماً، لذا فهي تدفع المرء للجري وراءها، ولكن لا تقع في الفراغ أبداً. لا تؤجر عقلك وفكرك بوضعها تحت قيادة وتسيير الآخرين. فالبعيد عن ذاته يبتعد عن بحر المعنى. والبعيد عن بحر المعنى يغرق في بحر الأنا. ولكي لا تؤذي الجوهر وتفسده يجب تمزيق قيد العبودية للعبد، وتحطيم أصنام الأهواء والشهوات. ولا يمكن إضفاء معنى على شيء دون فهمه، ولا يمكن تقوية الإدراك والوعي دون إضفاء معنى. ولا يمكن أن يصبح الإنسان واعياً ومدركاً دون تقوية الإدراك. ولا يمكن حماية الذات الخاصة دون أن يكون الإنسان واعياً ومدركاً.

إن المبحر في بحر الحياة مجبر على تعلم السباحة. وإن القلوب تبكي وتحترق. والعيون تبكي وتفيض بالدمع. فيجب أن يرى الوفاء الجفاء، وأن يرى الجفاء الوفاء حتى لا يتأذى الجوهر. ولا تنسى أن الظلام يزول بالضياء، والكراهية تزول بالمحبة. فكما أن الشمس تمحو الظلمات، فكذلك شمس المحبة فإنها عندما تشرق في القلب تمحو كل الشرور والمساوئ.

وإنه عندما يبتعد الإنسان عن جوهره لا يُنظَر إليه حتى وإن كان مرآة، ولا يستضاء به حتى وإن كان شمعة. كا لا يوضع على الرأس وإن كان تاجاً، وإن كان نبعاً يجف ولا يسيل.

إذاً؛ انزل إلى سفوح جبال السكوت وأنت تتأمل وتتفكر. وادخل إلى قصر الجوهر. واعلم أن لا شيء لك. واركب سفينة الإيمان قائلاً يا "الله". وانزل عند شاطئ الشكر قائلاً "الحمد لله". وغُص في محيط العدمية قائلاً "لا حول ولا قوة إلا بالله". واغدُ قطرة وتلاشى قائلاً "وتوكل على الله". وداوي الأحكام المسبقة بلقاح الصبر. وهكذا احم الجوهر من مختلف الأخطار، وحافظ عليه جيداً. ولكي تصبح إنساناً فاضلاً، وعبداً حقيقياً لله تعالى اسع وجاهد واعمل دون توقف حتى لفظ آخر نفس...

فتنة رُهاب الإسلام

لقد استطاع أولئك الذين يحرصون على منع الناس حول العالَم من دخول الإسلام أن يزرعوا بذور الكراهية والعداوة المقيتة للإسلام والمسلمين تحت اسم «رُهاب الإسلام»، وصارت جماعات من الناس تربط- سواء عمدًا أو بغير عمد- بين كلمتَي «الإسلام» و«الإرهاب» الذي يعد اليوم كارثة مفجعة.

مع أن من شرع بالإرهاب هم أولئك الذين لا قلوب لهم، ممن لا تجد في مصطلحاتهم كلمة الأدب أو الأخلاق أو حب الله أو الخشية منه، ففي الإرهاب لا رحمة ولا وجدان ولا دموع تُذرَف على الأطفال والشيوخ والثكالى.

أما الإسلام فقد بُنِيَ على ما هو نقيض ذلك بالتمام؛ بُنيَ على الرأفة والرحمة، وأكثر ما يذكر الله تعالى في القرآن الكريم من أسمائه اسمَيه «الرحمن» و«الرحيم» كي نتعلَّم الرحمة، والنبي ﷺ لم يُرسَل إلا «رحمةً للعالمين».

وإذا قلَّبنا صفحات التاريخ، نجد أن رسول الله ﷺ هو أكثر من واجَه الإرهاب وقاومه طوال مدة نبوَّته التي اسمترت ٢٣ سنة؛ إرهاب الإنسان والحيوان والنبات...

لقد كان نبينا يواجه هذا دائمًا، وكان الأساس عنده مراعاة حق الإنسان سواء كان كافرًا أم مؤمنًا، وكانت النتيجة أن جعل تلك الصحاري الموحشة- التي عمتها الحروب حتى تحولت إلى ما يشبه بِركة من الدماء- تنعم بالطمأنينة، وأسَّس حضارة من الفضائل لا مثيل لها في تاريخ البشر.

وواجبنا نحن- الأمة المحمدية- اليوم أن نتمثَّل أخلاق نبي الرحمة خير تمثل بحياتنا، ونبلِّغها للناس كافة على قدر استطاعتنا، فإن استطعنا أن نؤدي ذلك كما ينبغي، ما وجدَ المفترون للإساءة إلى النبي ﷺ سبيلًا.

Islamophobia

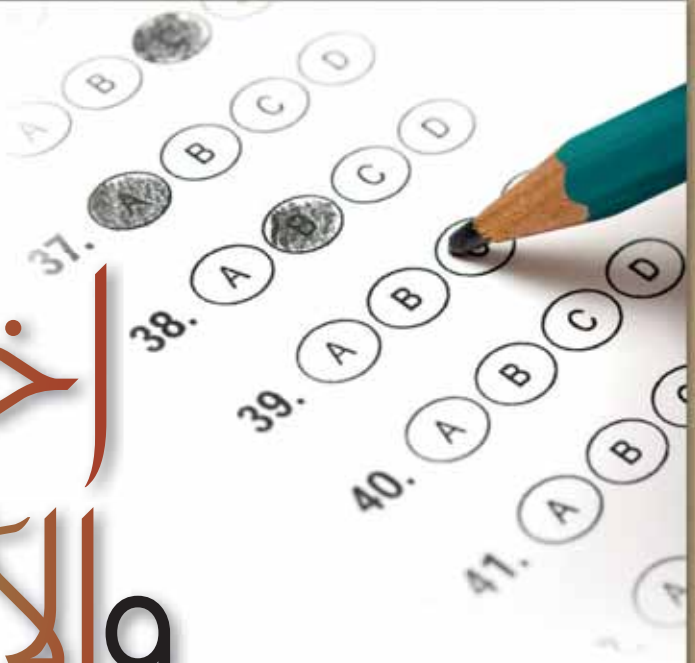

اختبار الذكاء والآخرة

نور الدين يلدز

علينا النظر إلى اختبارات الذكاء التي تجرى على الأطفال بشكل خاص بعين الأهمية من ناحية مستقبلهم. فيمكن أن نتفهم في عصر يُنظر فيه إلى الشهادات والتطلعات المرتبطة بها على أنها المكسب الوحيد للحياة، يمكن أن نتفهم جهود ومساعي أولياء الأمور لتبيان مستوى ذكاء أطفالهم.

ولكن هل نحن متجهون إلى مجتمع إنساني يتم فيه التمييز بين الناس على أساس الأذكياء وغير الأذكياء، حيث يمكن أن تحتل فيه مسألة تقسيم الناس إلى "أذكياء" و "غير أذكياء" مكانة لها بين المسائل الأخرى مثلما كان يحدث من تمييز بين "السود" و"البيض"؟. فهنا لا داعي حتى للقول بأن تصنيف الإنسان الذي خلقه الله تعالى على أساس اللون، أو المال، أو الذكاء أمر غير مقبول ولا يقر به عقل ولا منطق. يمكن إجراء اختبار ذكاء بهدف تحديد المستوى التعليمي في صف مدرسي، إلا أن إجراء مثل هذا الاختبار والتمييز من أجل تصنيف الإنسان أمر محظور مثل حظر مسألة التمييز بين "السود" و "البيض" على أقل تقدير. فوفقاً لحقيقة أن المجتمع الإنساني لا يتكون من الأذكياء فحسب فإن الرضا بخلق الله كما خلقه يُعد من مستلزمات إيماننا.

وعند التمعن باختبارات الذكاء الجارية اليوم والاستثمارات القائمة على هذه الاختبارات بعين المؤمن فإننا نصادف أمراً ملفتاً ما ينبغي إغفاله. حيث إن اختبارات الذكاء وخاصة لدى الأطفال تجرى من خلال الأرقام الحسابية، والقدرات الاستيعابية والمحاكمية والتفسيرية العامة، وردات الأفعال. فذكاء الطفل يُستبان من خلال احتساب نقاط عن اهتمامه وعلاقته بالرياضيات، وعن وعيه بمحيطه البعيد والقريب وعلى رأسه العائلة، وعن حالته النفسية الخاصة، وإجراء تقييم لهذه النقاط. ويمكن النجاح في هذا الاستبيان بنسبة معينة.

وأما نحن كمؤمنين فإنه لا يمكن أن نعتبر مثل هذا الاختبار الذي يخضع له أطفالنا كافياً. فهناك نقص لا يمكننا التغاضي عنه. مثلاً عندما يُخضع طفل ذو عشر سنوات لاختبار ذكاء فينبغي اختبار

ارتباطه بالعالم الآخر أيضاً. وإن المستوى الذي يسعدنا والذي يتبين من خلال الاختبار الجاري حول الأرقام والمحيط فقط لا يمكن مساواته بالنتيجة المستحصلة من اختبار الذكاء الجاري عن حساب الآخرة. فلا يُنتظر من العائلات التي تؤمن بالآخرة أن تصدر قراراً تصنف الأطفال إلى "ذكي، وغير ذكي" بشأن الاختبارات التي تجري في الأوساط التي لا تعتد بالآخرة أو تعتد بها بدرجة قليلة.

ويمكننا القول أيضاً: طالما أننا موجودون من أجل الآخرة، أو أن كل كلامنا مؤسس على اعتبار الإقرار بالآخرة فكيف لنا أن نعتد بمسألة أو اختبار لا يتطرق إلى الآخرة؟ وكيف نخضع أطفالنا الذين بينا بأننا نعدهم من أجل الآخرة لامتحان يتضمن مجرد أرقام دنيوية ثم نصفهم نتيجة ذلك بأوصاف مثل: الجيد، والحسن، والممتاز، أو الوسط، والضعيف، والسيء؟. فهذا الأمر ليس إلا عبارة عن إشغال وإلهاء لأنفسنا لا أكثر.

إن هناك مفهوماً خاطئاً ينبغي تصحيحه وتصويبه. فليس هناك أي هاجس أو قلق بالنسبة للذين يعيشون من أجل الدنيا؛ إذ إن اختبارات الذكاء التي تمكنهم من امتلاك الشهادات، والحصول على عمل، وكسب المال والمنافع كافية في نظرهم. وأما نحن فنتحدث عن الآخرة. نتحدث عن الجنة والنار، والصراط، والميزان، والمحشر. إننا نجعل الآخرة وفهمها والإيمان بها غاية لأبنائنا. فينبغي أن يكون اختبارنا متوافقاً مع مفاهيمنا أيضاً. حيث إن الاختبارات التي يتم إعدادها على طاولة الآخرين لا يمكن لها أن تعكس قيمنا أبداً.

سوف يخرج علينا بعض ممن يدعون أنه لا يمكن أن ننتظر من الأطفال الصغار إدراك الآخرة. فيمكن أن يقال: "ما يدري الطفل ما الصراط وما الميزان؟. نقول كما أن أشياء مثل الملفات المتراكمة على طاولة أحد مديري البنوك الكبيرة والتي تحتوي على حسابات وأرقام ضخمة قابلة للفهم والإدراك من قبل الأطفال، فكذلك هناك إمكانية لأن تُعد الآخرة التي ينظر إليها أنها بعيدة متناسبة مع مستويات ذكائهم وأعمارهم وقابلة للفهم. وكما أنه يجري قياس ذكاء أطفال أناسٍ عاديين بحسابات يجهلون الكثير منها، فينبغي أن يتضمن اختبار قياس ذكاء أطفال الإنسان المؤمن أسئلة وإشارات عن الآخرة المعلومة عنده تماماً.

وينبغي كذلك تحديد تربية وتعليم الطفل الذي سيعيش حياة قائمة على أساس الإيمان بالآخرة ومواصفاتهما بما يتوافق مع هذا الإيمان. وحتى إن اعتبرت وسائل القياس في مشاريع "إعداد الشاب المؤمن" مثل التحفيظ وما شابهه وسائل عادية فإنها في النتيجة يمكن أن تعطينا شباباً يأخذون الآخرة بعين الاعتبار.

إننا موجودون من أجل الآخرة، فينبغي أن تكون الاستثمارات من أجل الآخرة أيضاً. وينبغي أن تكون مشاريعنا وحساباتنا كلها عن الآخرة حتى تتحقق أمانينا وآمالنا المتعلقة بالآخرة.

كلمات في التربية مضيئة

الأطفال أمانات من عند الله ﷻ وهبنا إيّاهم حتى يُزوَّد الأبوين والمُربي بالخير والحسنات.

❁

إن الأخلاق الحميدة، والسجية و الشخصية السليمة هى أفضل ميراث يتركه أى أب وأم لولده. ويمر الطريق لذلك من خلال التربية السليمة.

❁

إن المربي ليس هو من يعطي المعلومة فحسب، ولكن هو من ينثر بذور الصدق، ويفتح الآفاق، ويدعو إلى العقل السليم، ويُعلِّم الأصول، والأركان، والآداب. أيْ أنَّ أيْ مربٍّ يقوم بإنشاء وجدانٍ سليمٍ لدى من يقوم على تربيته.

❁

لا يكفي لكي تربي طفلاً أن توفر له مكاناً ينام فيه، وأن تُشبع بطنه. بل يشترط لذلك أن تُزيِّن عالمه العقلي والروحي بالعلم والعرفان.

❁

ليست الكرامة أن ترى مستقبل أمة من الأمم. فيكفي أن تنظر إلى الأطفال والشباب لتعرف هذا. فإذا كانوا يبذلون قوتهم وطاقتهم فى سبيل الخير والجانب الروحي، والفضيلة، فحينئذٍ يصبح مستقبل هذه الأمة منيراً. وعلى العكس من ذلك إذا ما بذلوا طاقتهم من أجل أهواء وقوى ذميمة، فالعاقبة تكون حينئذٍ محزنة.

❁

ينبغي على المُربي أن يُزيِّن حياته هو أولاً بالفضائل التي تعلَّمها، والتي يوصي بها الآخرين، وأن يبذل الجهد كي يصبح نموذجاً حياً فى هذا الخصوص.

❁

من الضروري أن يوزِّع المربي طاقته الإيجابية على كل من حوله. حتى المشاهد التي يراها فى الحيوانات تكون معبرة للغاية في هذا الخصوص: فالدجاجة تأخذ فِراخها تحت جناحيها وهي تقوم على تربيتهم. والثعبان يربي صغاره تحت ناظريه. فإذا كانت الحيوانات على هذا النحو، فكيف يجب على الإنسان أن يكون؟

❁

من المسئوليات المهمة، أن يقوم المربي بتربية نفسه جيداً. لأنه لا معنى للمربي غير المؤهل سوى أنه الذي يضيع وقت الطالب الذي أؤتمن عليه.